من أشهر المحاكمات التاريخية

١

وضع:
اللايت اونورابل ايرلوف بيركنهد
تعريب:
المستشار محمد زكى اسحق

هذا الكتاب
ملك الأستاذ الدكتور
رمزى زكى بطرس

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

من الشرق
والغرب

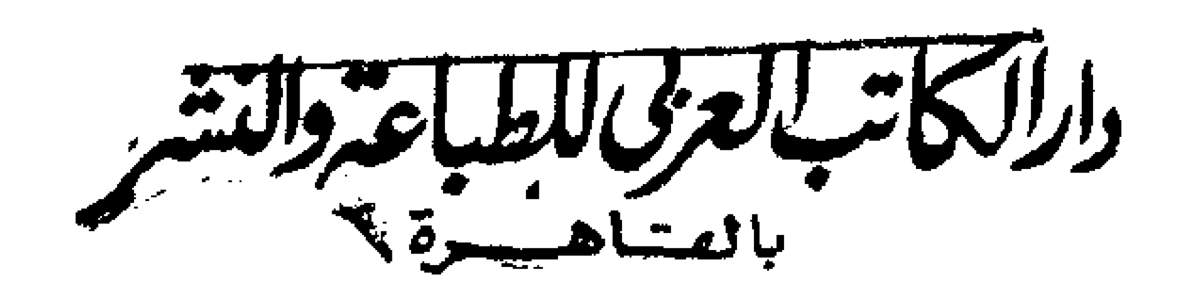
من أشهر
المحاكمات
التاريخية

وضع: الرايت أونورابل إيرل أوف بيركنهد

The RT. HON. THE EARL OF BIRKENHEAD

تعريب المستشار محمد زكي اسحق

رئيس محكمة الاستئناف السابق


دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

تقديم

لعلني لا اكون مغاليا اذا قلت أن الجريمة أقدم شيء في هذه الدنيا ، وجدت مع خلق الكون ، فهي ولاشك مظهر من مظاهر تنازع البقـاء .

والمجرم عادة يكون مدفوعا الى ارتـكاب جريمته ، بعـامل من عوامل الحقد ، أو الطمع ، أو الكراهيـة ، أو القسوة .. وفي بعض الأحيـان بعامل الحب ، أو الغيرة .. فهذه — في اعتقـادي — هي أهم العوامل الأساسية التي تحكم ارتكاب الجريمة .

ويهتم الناس بالجريمة أشد الاهتمام أينما وقعت ، فهم يتتبعـون أخبارها ، وتفاصيلها ، في الصحف اليومية ، وفي أحاديثهم في أوقات فراغهم .. حتى اذا وقع الجاني في قبضة العدالة ، وقدم للمحاكمـة لينال الجزاء على ما ارتكب من اثم ، زاد اهتمام الناس بها مرة ثانية ، وتعقبوا آثارها في دور المحاكم بشـغف ولذة ، فتراهم يتزاحمون على هذه الدور ، سواء في قيظ الصيف أو في برودة الشتاء ، يتتبعون باهتمام وشغف لأيام وأيام اجراءات المحاكمة المعقدة الطويلة ويستمعون في اناة وصبر ، الى مرافعات طويلة وهم من وقت لآخر ، يراقبون المتهم المـاثل أمامهم في قفص الاتهام بفضول غريب .

ولذلك عنى المؤرخون والكتـاب بالجرائم الكبيرة التي شـغل بها الناس ولها أهمية خاصة فكتبوا عنها كثيرا .

وقد رايت ، ان اقدم للقراء فى هذا الكتاب عرضا ـ آمل أن يكون وافيا ومشوقا ـ لبعض الجرائم الكبرى وحوادثها وتحقيقها ، والقضاء فيها ، ووقع الحكم فى نفسية المحكوم عليهم ، وبعضهم من عظماء رجال التاريخ فى انجلترا .

وان القارىء ليرى فى هذه القضايا ، أو الجرائم الشهيرة ـ على حد قول واضعها الرايت أو نورابل ايرل أوف بركنهد الى أى حد قد تصل مطامع النفس الأمارة بالسوء وكيف تدفع صاحبها الى الجريمة فيستسلم لها ، وهو هادىء النفس ، قرير العين ، حتى اذا وقع فى قبضة القانون وحل به العقاب تخاذل وهوى .

سوف تقرأ فى هذا الكتاب فصلا عن قضية الدوق مونموث .. ذلك الشاب الطموح الممتلىء الفؤاد بالمطامع (التى لا تكاد تقف فى نظره دون المطالبة بالعرش) وكيف كان بطلا صنديدا قاد جيوش الثوار ضد جيش عمه الملك جيمس بارادة قوية ، وشجاعة نادرة ، ولكن الأقدار وقفت فى طريقه فوقع أسيرا .. وأدخل السجن انتظارا للفصل فى أمره وزالت عنه شجاعته فكان مثالا للجبن والنذالة وكان فى نظر الناس مغامرا وطائشا .

وسوف تقرأ أيضا قضية قائد البحار الانجليزى الأدميرال بنج وكيف أعدم ظلما ارضاء للأهواء السياسية وتمشيا مع سياسة الوزارة التى كانت تتولى شئون البلاد . ومحاكمة الملكة كارولينا المستهترة الرقيقة .

والى جانب هؤلاء العظماء ، سوف يطلع القارىء على مغامرات قطاع الطرق فى بلاد الانجليز خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر واستخفافهم بالحكام وضربهم بالقانون عرض الحائط . كل ذلك رغما من أن عقوبة قاطع الطريق كانت وقتئذ الاعدام ..

وقد تعرض الكتاب أيضا ، للطرق المختلفة ، التى كان ينفذ بها حكم الاعدام ، وهى طرق ان دلت على شىء ، فهى تدل على الوحشية والبربرية التى كانت سائدة فى القرنين سالفى الذكر ..

وآمل ان يتسع لى الوقت ، فأستطيع مرة أخرى ، أن أقدم للقراء الوفا آخر من هذه القضايا فى القريب .

ولعلنى أكون قد وفقت باخراج هذا الكتاب ومؤديا للمعنى الذى قصدت والله ولى التوفيق .

محمد زكى اسحق المستشار



« الرايت أو نورابل ايرل أوف بركنهد »

المؤلف

ايرل أوف بيركنهد (فردريك ادوين سميث)

١٨٧٢ – ١٩٣٠

كان ايرل بيركنهد محاميا وسياسـيا معروفا وشغل منصب وزير العدل فى وزارة لويد جورج الائتلافية بعد الحرب العالمية الأولى .

وقد ولد فى مقاطعة بيركنهد وتلقى علومه فى كلية وادهام باكسفورد التى حصل منها على اجازة فى القانون من مرتبة الشرف من الدرجـة الأولى . وبدأ حياته العملية كمحام عام ١٨٩٩ فى ليفربول وانتخب عام ١٩٠٦ عضوا محافظا فى مجلس العموم البريطانى عن أحد دوائر ليفربول وقد حقق ثروة كبيرة بعمله ولكنه كان شديد الاسراف .

وفى وقت قصير أصبح من الشـخصيات البـارزة فى حزبه وفى المعارضة فى مجلس العموم . وفى عام ١٩١٥ عين محاميا عاما ثم عين سنة ١٩١٨ وزيرا للعدل غير ان تعيينه لم يكن مرضيا من جانب الملك بسبب اسرافه الشديد وحياته الأباحية وكذا بسبب نقده اللاذع وطلاقة لسانه . وفى أثناء شغله منصب وزير العدل أصدر قانون الملكية لعـام ١٩٢٢ المعتبر من أهم التشريعات البريطانية . كما اشترك مع تشرشل الذى كان من أكبر أصدقائه فى مفاوضات استقلال ايرلندا عام ١٩٢١ ، وبعد سقوط الوزارة الائتلافية عام ١٩٢٢ عين لوردا ثم رفض الاشتراك فى وزارة بونارلو المحافظة ولـكنه قبل بعد ذلك منصب وزير لشئون الهند التى شغلها من عام ١٩٢٤ الى ١٩٢٨ ، ثم اعتزلها ليشتغل فى الأعمال المحلية . وعلى الرغم من انه كان من الشخصيات اللامعة الا انه كان من الفاشلين سياسيا .

ـ ١ ـ

قضية وليم هاريسون
أو
الخطأ القضائى الجسيم

«William Harrison»

or

A mis-carriage of Justice'

أهم الشخصيات فى الدعوى:

- **وليم هاريسون** — المجنى عليه المزعوم
- **جون بيرى**
- **ريتشارد بيرى**
- **جوان بيرى**

(جون بيرى، ريتشارد بيرى، جوان بيرى) — المتهمون

- **الليدى كامبدن** — سيدة
- **بلدة كامبدن** — **بمقاطعة جلوسستار شاير بانجلترا**
- **السير توماس أوفر بورى** — قاضى التحقيق
- **الزمن : عام ١٦٦٠**

يجلس القاضى على منصة القضاء لمباشرة مهمته السامية الخطيرة التى لا يدرك مقدار خطرها الا من يكابدهـا وهو يلتمس عـون بارىء الـكائنات أن يلهمه الصواب فيما يقضى به ، حتى اذا لمس الواقع الذى اطمأن به ، والحق الذى استراح اليه نطق بحكمه مطمئنا مرتاح الضمير.

ولكن القاضى مثل سائر البشر قد يخطئه التوفيق فى بعض الأحيان فيقع عن غير قصـد منه فى خطأ لايمكن تلافيـه أو اصلاحه بحال من الأحوال .

فقد تنسب سلطة الاتهام الأمينة على الدعوى العمومية تهمة القتل العمد مع سبق الاصرار الى شخص ما ، ويقـدم الى المحاكمة وتقتنع المحكمة بالأدلة المطروحة أمامها فتقضى أعمالا لنصوص القانون باعدامه ، وينفذ الحكم ، ثم تحدث المفاجأة المذهلة فيما بعد اذ يتضح أن هـذه الجريمة المزعومة لم تقع أصلا أو أن أحدا غير المتهم المحكوم عليه هو الذى اقترفهـا .

ولعل قضية مقتل «وليم هاريسون» التى حدثت فى خلال القرن السابع عشر بانجلترا من أبرز أمثلة «الخطأ القضائى الجسيم» .

نسبت سلطة الاتهام فى ذلك الحين الى كل من جون ، وريتشارد ، وجوان بري وجميعهم من أهالى مدينة «كامبدن» بمقاطعة «جلوسستر شاير» بانجلترا انهم قتلوا عمدا ومع سبق الاصرار أحد أهالى هـذه المدينة « وليم هاريسون » وبعد القبض عليهم والتحقيق معهم قدموا الى المحكمة فقضت باعدامهم شنقا بعد دراسة عميقة للقضية .

وبعد مرور أكثر من سنتين على تنفيـذ حكم الاعدام فيهم فوجىء أهالى مدينة كامبدن بظهور المجنى عليه المزعوم بينهم حيا يرزق .

كان ذلك فى عام ١٦٦٠ وعلى وجه التحديد فى يوم ١٦ من أغسطس ١٩٦٠ عندما خرج المستر وليم هاريسون وكيل أعمال الليدى كامبدن فى طريقه الى قرية «شارنجوورث» لتحصيل ايجار الأراضى الزراعية التى تمتلـكها سيدته . وكان الرجل قد جاوز السبعين من عمره الا انه كان فى الوقت نفسه على جانب كبير من النشاط بل ومن الشجاعة أيضا ، وكان قد قضى معظم عمره فى خدمة الليدى كامبدن ، ولذلك لم يخطر ببالها عندما تأخر فى العودة الى منزله أنه اختلس المبالغ التى حصلها

وذلك لأمانته المعروفة عندها ، وكذلك لم يخطر ببالها أيضا ان لصوصا قد هاجموه فى الطريق اثناء عودته وسلبوا منه مايحمله من نقود اذ انه كان ــ كما قدمنا ــ قد عرف بالشجاعة وقوة البأس .

ولكن زوجة «هاريسون» لم تكن مطمئنة على زوجها اطمئنان الليدي كامبدن ، اذ أنها تعلم عنه أنه تعود دائما أن يصل الى منزله قبل انتشار الظلام ، فلما لم يعد حتى الساعة التاسعة مساء ساورها قلق شديد . واستدعت خادمها «جون بيرى» المتهم الأول فى القضية ــ وكلفته بالتوجه الى قرية شارنجوورث للبحث عن زوجها فقد خشيت أن يكون قد أصيب فى حادث أو وقع له مكروه .

خرج «جون بيرى» تنفيذا لأمر سيدته ولكنه هو أيضا لم يعد الى المنزل حتى الصباح وعلى ذلك فقد هرع ادوارد ــ ابن المستر هاريسون ــ للبحث عن والده وتقصى أخباره وتوجه الى قرية شارنجوورث ، وهناك قابل الخادم جون وعلم منه انه لم يستدل على والده ، توجها معا الى قرية «ايرنجتون» المجاورة ، وهناك أخبرهما المستر دانيال ، أحد مستأجرى أرض الليدى ، بأن هاريسون مر عليه بمنزله فى الليلة السابقة ولكنه لم يمكث معه الا قليلا .

تابع الرجلان البحث عن الغائب وتوجها الى «باكسفورد» ، القرية المجاورة لشارنجوورث ، وعبثا حاولا العثور عليه ، ولما اخفقا استقر رايهما على العودة الى البلدة ، وفى الطريق اليها نما الى علمهما أن امرأة عجوزا عثرت على قبعة ممزقة وحزام ومشط فى الطريق عند مدخل بلدة كامبدن فأسرعا الى هذا المكان ، وما أن شاهدا هذه الأشياء حتى تبين لهما انها تخص المستر هاريسون (الغائب) وقد دلتهما المرأة على المكان الذى عثرت فيه على هذه الأشياء فاذا هو عبارة عن حقل غير مزروع بجوار الطريق ، فبحثا فيه على أمل العثور على جثة هاريسون ، لأنهما قد اعتقدا اعتقادا جازما بأنه قد قتل أو على الأقل أصيب بجروح بالغة ، لأن الأشياء التى عثرت عليها المرأة كانت جميعها ملوثة بالدماء .

ولما لم يسفر بحثهما عن شىء قفلا راجعين الى البلدة ، وخرج اهلها جميعا وأعادوا البحث عن « هاريسون » فى الحقول والمزارع المجاورة ولكن البحث لم يسفر عن نتيجة ولم يظهر للغائب اى اثر .

اعتقدت الزوجة أنه لابد أن يكون لقى حتفه وأخطرت البوليس بالأمر فتولى التحقيق فيه .

اتجهت شبهة البوليس بادىء ذى بدء الى الخادم « جون بيرى » وكان هذا الاشتباه قد بنى على أساس واه وهو عدم عودة هـذا الخادم فى الليلة التى خرج فيها للبحث عن سيده فقبض عليه .

بدأ قاضى التحقيق فى استجوابه ، وسأله عن سبب تأخره فى العودة الى البلدة ما دام لم يجد لسيده أثرا فى القرية المجاورة ، فأجابه بأنه عندما كلفته سيدته بالذهاب للبحث عن سيدته كان الظلام حالكا فخشى السفر ليلا بمفرده وجلس بجوار حظيرة الدجاج حتى منتصف الليل ، وعندئذ بدأ رحلته الى القرية وكان الضباب قد انتشر فضل الطريق واضطر الى قضاء بقية الليل تحت شجرة . ولما بزغ الفجر توجه الى القرية وقابل احد مستأجرى الليدى كامبدن هو « المسترادوارد سلنسر » وعلم منه أن سيده كان عنده بعد ظهر الأمس وسلمه دفعة من الايجار المطلوب منه ، وتحدثا معا مدة قصيرة ، انصرف بعدها هاريسون ليصل الى منزله قبل حلول المساء ، ثم أضاف « جون بيرى » انه لما فشل فى الاستدلال على سيده قرر العودة ، وفى الطريق قابل هاريسون « الابن » قادما للبحث عن والده .

استفسر منه المحقق فى سؤال وجهه اليه عن سبب تردده فى الذهاب للبحث عن سيده فى الساعة التاسعة مساء وخروجه بعد ذلك للبحث عنه فى منتصف الليل ، فأجاب بأن الظلام كان كثيفا فى الساعة التاسعة فانتظر حتى ينقشع ثم سار عندما توسط القمر كبد السماء وأصبح الطريق واضحا .

وجه اليه المحقق سؤالا آخر فسأله « اذا كنت لم تبدأ رحلتك قبل منتصف الليل فلماذا لم تستفسر من سيدتك طوال هذا الوقت ، من الساعة التاسعة مساء حتى منتصف الليل ، عما اذا كان سيدك قد عاد أم لم يعد ؟ .

تردد المتهم فى الاجابة على هذا السؤال ، ثم أجاب اجابة لم تقنع القاضى ، فأمر بحبسه احتياطيا على ذمة القضية ، وكان طوال أيام حبسه يوالى استجوابه ، ولكنه فى كل مرة لم يظفر منه بطائل ، الى ان كان وم الجمعة ٢٤ من اغسطس سنة ١٦٦٠ أى بعد ثمانية أيام من غياب هاريسون طلب جون بيرى أن يدلى بأقواله أمام القاضى ، وكانت هذه الأقوال تدعو الى الدهشة اذ أنه اعترف اعترافا مفصلاً وواضحا بأنه ووالدته وشقيقه قتلوا سيده «هاريسون» للاستيلاء على ما معه من نقود .

بدأ المتهم اعترافه قائلا : أن والدته وشقيقه ، وهما يعيشان معه فى نفس البلدة ، كثيرا ما كاشفاه برغبتهما فى سلب النقود التى

يحملها المجنى عليه عند عودته من تحصيل ايجار أملاك الليدى كامبدن ، وطلبا اليه أن يخبرهما بموعد قيامه وعودته ، ولكنه كان يراوغهما ، الى أن كان اليوم الذى خرج فيه هاريسون لتحصيل الايجار ، أسر اليهمـــا بخط سيره ، واتفق ثلاثتهم على أن يكمنوا له عند عودته آخر النهار ، وقبل دخوله الى المدينــــة ، ويستولوا على ما معــه من مال . وفعلا تربصوا له بالقرب من الكنيسة ، فلما أقبل هجم عليه شقيقه «ريتشارد» فألقاه أرضا ، وجثم فوق صدره . وكان المجنى عليه يقــاوم مقــاومة عنيفة ويصيح بهم « ابتعـدوا عنى أيهـا الأوغاد ٠٠ هل تريدون قتلى ؟؟ لن أمكنكم من ذلك .. ولـكن ريتشارد قبض على عنقه بكلتا يديه ، ولم يتركه الا وهو جثة هامدة . ثم بحث فى جيوب القتيل واخرج منهـا كيسا مملوءا بالنقود الذهبية ، والقاه لوالدته التى كانت تراقب الطريق على مقربة من مكان الحادث .

اتفق مع أخيـــه بعد ذلك على القــاء الجثة فى بركة مياه بجوار الطاحونة المهجورة ، خلف حـديقة الـكنيسة ، وترك والدته وشقيقه لتنفيذ هذا الاتفاق ولا يعلم ما اذا كانت الجثة قد ألقيت فى هذه البركة أم لا . أما هو فعاد الى المدينة بعد أن أخذ قبعة القتيل ، ومزقها اربا ، ومشطه وحزامه والقى بكل هذه الأشياء فى الطريق ثم توجه الى منزل سيده . وعندما كلفته سيدته بالبحث عنه ، اختفى فى حظيرة الدجاج حتى منتصف الليل ، وغادرها الى قرية شارنجوورث وقابل هنـــاك ادوارد هاريسون وكان قد حضر للبحث عن والده .

بعد هذا الاعتراف المفصل ، أصدر قاضى التحقيق أمره بالقبض على ريتشارد ووالدته جوان بيرى ، وأجرى البوليس البحث عن الجثة فى المـكان الذى أرشد عنه المتهم ، ولـكنه لم يجد لها اثرا لا فى هذا المـكان ولا فى غيره من الأمكنة المجاورة ، وبالاجمال لم تظهر جثة المجنى عليه اطلاقا ولم يعثر على أى أثر لها .

وبالرغم من ذلك ومن انكار ريتشارد شقيق جون ووالدته ودفاعهما دفاعا حارا ، وتكذيبهما لاعتراف جون عليهما عنـــد مواجهتهما به ، واصرارهما على هذا الانكار بجلسات المحاكمة ، الا أن محكمة الجنايات قضت عليهم جميعا بالاعدام شنقا ، وذلك رغما من عـدول جون أمامها عن اعترافه ، بدعوى انه لم يكن مستكملا لقواه العقلية عنـــدما أدلى بأقواله فى التحقيق الابتدائى .

نفذ حكم الاعدام فى ثلاثتهم على تل بالقرب من البلدة ، وشــهد جميع الأهالى تنفيذ الحكم كما كانت العادة المتبعة فى ذلك الوقت .

ويجدر بنا بعد الذى قدمناه ، أن نقف قليلا أمام هذا الحكم النهائى الذى صدر من محكمة عليا لم تكن أحكامها موضع استئناف أو نقض ، ونتساءل هل أصاب القضاة التوفيق فى قضائهم ؟

لاشك ان دعامة الحكم بالادانة كان أساسها اعتراف المتهم « جون بيرى » ، ولـكن هذا الاعتراف يبدو لأول وهلة انه اعتراف مشكوك فيه كثيرا لايرتاح اليه ضمير القاضى وقد يجعله يميل الى الاعتقاد بانه أخذ قسرا من المتهم ، أو انه صدر منه وهو مختل الشعور ، فاقد الادراك ، وكلا الأمرين لم تتصد له المحكمة . وأميل الى الاعتقاد بأن جون بيرى حينما أدلى بهذا الاعتراف كان مختل الشعور ، ويؤيد حجتى هـــذه خيط سيط فى الدعوى مستمد من أقوال جـــون نفسه الم يقل بأنه يخاف الظـــلام ؟ وانه قبع مختبئا بجوار حظيرة الدجاج الى منتصف الليل ، ومن كانت هذه حاله يجب أخذ أقواله بكثير من الريبة والشك .

وهناك عامل آخر هو عدم العثور على « جسم الجريمة » .. وانكار المتهمين الآخرين .. كل هذا مما يشكك كثيرا فى صحة الاتهام .

* * *

بعد مرور مايزيد علىعامين بعد تنفيذ حكم الاعدام فى هؤلاء الثلاثة ظهر المجنى عليه « وليم هاريسون » فى البلدة ، فكان ظهوره المفـاجىء بعد اعتقاد الجميع أنه قتل ، حريا بطبيعة الحال أن يثير دهشة واهتماما من أهالى المنطقة ومن المسئولين فيها أيضا .. الم تسجل المحكمة العليا فى حكمها أن هاريسون قد قتل ؟ والم ينفذ حكم الاعدام فى قاتليه بناء على هذا الحكم ؟ !

استدعى هاريسون أمام قاضى التحقيق الســـير توماس أوفريرى حيث سئل وفى تقرير مفصل قدمه للقاضى روى فيه قصته التى تدعو الى التفكير الطويل قبل الحكم بصحتها من عدمه وفيما يلى نص ما كتبه هاريسون :

(اطاعة لأمركم يا فخامة القاضى أروى وانا بكامل قواى العقليـــة ما حدث لى منذ غيابى عن البلدة فقد اختطفنى بعض الأشخاص الذين اجهلهم الى اليوم وذلك أثناء عودتى الى منزلى وحملونى على ظهـــر سفينة خارج الجزر البريطانية القت مرساها بتركيا حيث ظللت أسيرا هناك الى ان تمكنت من العودة الى بلادى . وتفصيل الأمر هو اننى بعد ظهر يوم الخميس الموافق ١٦ من أغسطس سنة ١٦٦٠ ، توجهت الى قرية شارنجوورث لتحصيل ايجار سيدتى الليدى كامبدن وكان الحصاد

جاريا فى الحقول والزراع يعملون طول النهار ، الأمر الذى اضطررت معه الى ان أظل بالقرية حتى المساء ، وكنت آمل تحصيل مبـــلغ كبير من المال ولكنى لم اوفق الا الى تحصيل مبلغ بسيط . وفى طريق عودتى الى البلدة وعند الممر الضيق الواقع بقرية ارنجتون قابلنى شخص على صهوة جواد ، وبادرنى بقوله « هل أنت هنا ؟» وتقدم نحـوى ،فخشيت انه يريد بى شرا فأبعدت جواده عنى بقبضة يدى ، ولكنه امتشـــق حسامه وضربنى عدة ضربات به فدافعت عن نفسى على قدر استطاعتى بعصاة كنت اتوكأ عليها فى الطريق . وفى هذا الوقت ظهر فى الميدان شخص آخر ثم ثالث ، وأمسك أحدهم بياقة معطفى ، وأرغمونى ثلاثتهم على أن أركب خلف احدهم على ظهر جواده ، ثم اوثقوا يدى خلف ظهرى وطرحوا على وجهى عباءة سوداء ثقيلة ، وساروا بى الى أن وصلنا الى مكان ما ، حيث ترجلنا وأخذوا فى تفتيشى واستولوا على ما معى من مال قليل ، ثم القوا بى فى حفرة — كل هذا والعباءة على وجهى تحجب عنى الرؤية . وعند بزوغ الفجر أخرجونى من الحفرة وقد توسلت اليهم أن يتركونى وشأنى ، ماداموا قد أخذوا مامعى من نقـود ، ولشـــدما كانت دهشتى عندما أودع أحــــدهم مبلغا كبيرا من المال فى جيب معطفى ، واجلسنى وراءه على صهوة جواده ، ومازلنا سائرين حتى توقفنا أمـام منزل دخلناه وقد كدت أهلك ، وسمعت صوت سيدة تقول « هل أحضرتم معكم رجلا على وشك الموت ؟ فأجابها أحدهم » هو صديق أصيب أثناء الرحلة وسـيحملونه الى طبيب . فقالت لهم .. اسرعوا به اليـه حتى لايموت فى منزلى .. وكانوا قد القوا بى على فراش حيث امضيت طوال الليل . وفى الصباح المبكر بدأنا الرحلة مرة أخرى الى أن وصلنا الى مكان قريب من البحر ، سمعت أحدهم يقول انه ميناء «ديل» .

وقف أحد الثلاثة بجوارى وتوجه آخر وعادا بعد قليل ، وسمعتهم يتحدثون الى شخص ينادونه باسم « ورنشو » ، وبعد قليل ركبنا جميعا قاربا سار بنا ، الى ان وصلنا الى سفينة فى عرض البحر ، نقـلونى اليها ورفعوا عن وجهى العباءة . وظللت بهذه السفينة قرابة ستة اسابيع، كنت أعالج فى خلالها من الجروح التى أصـابتنى ، حتى شفيت تماما . وفى نهاية الأسابيع الستة هاجمتنا ثلاث سفن تركية ، وأخذونا أسرى حيث أودعونا حجرة مظلمة باحداها . ولا أعلم كم من الزمن قد مر علينا فى هذه الحجرة الى ان رست السفن فى ميناء ببلاد الاتراك ، وصـــعد اليها بعض أشخاص يرتدون ملابس الضباط ، وأخذوا فى استجوابنا ، وســـألونى عن مهنتى ، ولما اجبتهم بأنى ملم بعض الالمام بعلم الطب ، ارسلونى الى « أزمير » حيث عملت مع طبيب عجوز يناهز الســـابعة

والثمانين من عمره . وكان هذا الطبيب قد زار انجلترا مرارا ويتحدث الانجليزية بطلاقة ، فقد أمضى مدة طويلة بكراولين بمقاطعة لانكشاير .

ظللت أعمل مع هذا الطبيب حوالى ثمانية عشر شهرا . وكان ينادينى باسم «بل» ، الى أن اشتد عليه المرض فى يوم من الأيام ، فاستدعانى وطلب الى أن أتدبر أمر نفسى . لأنه على وشك الموت . وقد مات فعلا فى اليوم التالى . عملت من وقتها على الفكاك من هذا الأسر فتوجهت سرا الى الميناء وقابلت قبطان احدى السفن ، وتمكنت من اقناعه بقبولى عاملا فى مركبه ، بعد أن أعطيته كل ثروتى الصغيرة التى معى ، فقبل . وسافرت السفينة الى لشبونه حيث انزلتى بها وليس معى درهم واحد.

جعلت أتسكع فى شوارع المدينة ، الى أن قابلت مواطنا انجليزيا رويت له قصتى كلها ، فتطوع بأن يعيدنى فى سفينة الى دوفر ، حيث وصلت اليها سالما ، ومنها سافرت الى لندن ، ثم واصلت السفر حتى وصلت الى بلدتى « كامبدن » . وعلمت بالمصير السيىء الذى آل اليه خادمى بيرى ووالدته وشقيقه اذ عوقبوا عن جريمة لم ترتكب أصلا . ولا استطيع ان اميط اللثام عن الأشخاص الذين اختطفونى وعاملونى هذه المعاملة القاسية اذ انى أجهلهم تماما . »

هذه يا فخامة القاضى روايتى الحقيقية ، وما وقع لى من آلام احتملتها بصبر ، الى ان كان خلاصى وفكاكى من أسرى وعودتى الى وطنى .

والى هنا انتهت رواية المجنى عليه المزعوم . ويعلم الله وحده ما اذا كان صادقا فيما رواه أو كاذبا . ولكن كل هذا لايمنع من ان الخطأ الذى وقعت فيه المحكمة العليا خطأ لا يمكن اصلاحه .

٢ ـ محاكمة ديك ترين

بطل قصص الكاتب الانجليزى المعروف

هاريسون ابنزوورث

أهم الشخصيات :

● **ديك ترين**	قاطع طريق مشهور
● **مستر سترايب** ● **مستر ميسون** ● **مستر شلتون** ● **مستر برادل**	مجنى عليهم في مغامرات «ديك»
● **توماس موريس**	مرشـــد
● **جون بالمر**	الاسم الذى انتحله ديك أخيرا

● **الزمن ــ سنة ١٧٣٩**

ولم يكن ديك ترين بطلا مغوارا وفارسا شهما كما صوره الروائى الانجليزى المشهور هاريسون ابنزوورث فى اقصصه ، فقد ابرزه فى عديد من رواياته بهذه الصفات الحميدة وروى فى صفحاتها الكثير من مغامراته ، لفعل الخير ، وكيف كان يجوب أطراف مقاطعة اسكس مسقط رأسه ممتطيا جواده الذى كان يدعوه « بلاك بس » نصيرا لكل مظلوم ، ومحسنا على الفقراء ، وآخذا بيد الضعيف ـ بل على العكس من كل هذا ـ كان ديك المذكور لصا وقاطعا للطرق ، ومغامرا لا ضمير له بل وقاتلا أيضا .

ولو كان ديك ترين شخصية وهمية لا وجود لها الا فى خيال هذا الروائى ، لما كان هناك مجال للاهتمام به ، ولكنه كان شخصا حقيقيا عاش بانجلترا فى القرن الثامن عشر . وكانت له حوادث سطو ونهب وقتل، وظل ديك يرتكب جرائمه عدة سنوات دون أن يتمكن رجال البوليس من القبض عليه . الى أن ظفروا به أخيرا ، وحوكم ، وحكم عليه بالاعدام شنقا ، ونفذ الحكم فى ١٠ من أبريل سنة ١٧٣٩ .

بدأ ديك ترين حياته بناحية « وايت شابل » فى الجهة الشرقية من لندن . وكان يعيش بقرية ايست هام احدى ضواحى الناحية . وتزوج بفتاة تدعى « بالمر » وامتهن تجارة اللحوم . وكانت جرثومة الفساد والميل الى الاجرام تترعرع فى نفسه ، حتى اذا نمت واتخذت مظهرها الخارجى فى سلوكه وطباعه ، بدأ يسرق مواشى الجيران ويذبحها خلسة ، ثم يعرضها للبيع فى حانوته . واستمر على هذه الحال مدة طويلة ، دون أن يكتشف أمره .. وفى أحد الأيام انتهز فرصة غياب جاره « جايلز » وتسور حظيرة مواشيه ، وسرق ثلاثة ثيران قادها أمامه وسلك بها طريقا غير مأهول ، حتى لا يكتشف أمره الى ان وصل الى منزله . وقام بذبحها وسلخها . وفى اليوم التالى عرضها للبيع فى حانوته .. وكان رجال الأمن يراقبون محال الجزارة لتكرار وقوع حوادث سرقة المواشى . وفعلا ذهب البوليس الى جزارة « ديك » ، وكان حجم الثيران المعروضة للبيع تتفق تماما وحجم الثيران التى ابلغ جايلز ، بسرقتها ، ولكن ذلك لم يكن دليلا كافيا على أنها هى المسروقة بالذات . ودلت التحريات على

أن « ديك » يبيع جلود المواشي بمدبغة قريبة من البلدة ، وفتش البوليس هذه المدبغة وعثر فيها على جلود الثيران المسروقة . وعلم من صاحبها أنه اشتراها من ديك فأصدر البوليس أمرا بالقبض عليه . ولكن ديك شعر بذلك وهرب الى خارج المدينة ولم يوفق البوليس فى القبض عليه رغم الاعلان عن أوصافه فى كل مكان .

تغلغل ديك فى مقاطعة « اسكس » حتى بعد عن قريته وتمكن بطريقة ما من الاتصال بزوجته فأرسلت له نقودا وكان طوال هذا الوقت يقدح زناد فكره فى مغامرات جديدة الى ان التقى بعصابة من المهربين لها نشاط ملحوظ في هذه المقاطعة فانضم اليها وأصبح الجزار سارق المواشي قاطعا للطرق وربح ذهبا كثيرا من الاعتداء على المسافرين فى الطرقات وقد تمكن البوليس من القبض على أفراد هذه العصابة وتمكن ديك لحسن حظه من الافلات فى آخر لحظة .

اخذ قاطع الطريق يفكر فى وسيلة أخرى لكسب المال بعد ان قبض على أفراد العصابة وكان بمقاطعة اسكس غابة كبيرة تسمى غابة اينج يربى فيها أصحابها قطيعا كبيرا من الغزلان فانضم الى بعض اللصوص الذين كانوا يسطون على هذا القطيع من وقت لآخر ولكن هذه العملية لم ترق له اذ هى لا تدر عليه مالا وفيرا مما كان يطمع فى الحصول عليه .

وأخيرا عرض على أفراد العصابة أن يقوموا بالسطو على المنازل فكان يذهب أحدهم ويطرق باب المنزل وبمجرد ان يفتح صاحبه الباب يدلف اليه بسرعة ويثب باقى أفراد العصابة وقد أخفوا وجوههم بمناديل سوداء شاهرين مسدساتهم فى وجه كل من يقابلهم ويستولون على ما بالمنزل من مال أو أى شىء آخر يروق لهم .

كانت أول مغامرات هذه العصابة هى مهاجمة منزل المستر « سترايب » تاجر الأوانى الفضية حيث استولوا على كل ما فى حيازة الرجل من مال أو بضاعة .

أما المغامرة الثانية فقد كانت المجنى عليها سيدة عجوز علم « ديك » من تحرياته انها تعيش وحدها وتحتفظ بمبلغ كبير من المال . توجهت العصابة الى المنزل ليلا وطرق أحد أفرادها الباب وقامت السيدة بفتحه فدخل وتبعه الباقون حيث أوثقوا كتاف المجنى عليها وسألها ديك والمسدس فى يده يهددها به عن مكان أموالها ولما رفضت الاجابة حملها بين يديه واجلسها كرها فوق المدفأة التى تشتعل فيها النيران فصرخت

المسكينة من الألم ولكنه لم يأبه لها بل حاول ان يلقى بها فى نيران المدفاة وعندئذ اضطرت تحت وطأة الألم الشديد الى ان تدلهم على المكان الذى تحتفظ فيه بأموالها فاستولوا عليها وقد بلغ أربعمائة جنيها ذهبا واسرعوا بالهرب واقتسموا المال فيما بينهم وأخذوا فى انفاقه على معاقرة بنت الحان فى المحال الموجودة بالمقاطعة .

وكان امر « ديك ترين » ومغامراته مع أفراد عصابته قد اشتهر فحرص الناس على عدم فتح أبواب منازلهم الا بعد التأكد من شخصية الطارق ولكن ذلك لم يقف حجر عثرة فى سبيل « ديك » اذ أنه عندما رفض أحد المزارعين فتح باب منزله لارتيابه فى القادم لم يحفل بالأمر بل كسر الباب عنوة ودخلت العصابة واستولت من المزارع المسكين على سبعمائة جنيه كانت ثمن أرض باعها فى اليوم السابق على الحادث .

كثرت مغامرات « ديك) وفشل البوليس فى القبض عليه فركب الغرور رأسه وفكر فى أن يهاجم منزل المستر « ميسون » صاحب غابة «ابنج» وكان يعتقد انه يحتفظ فيه بقدر وافر من المال فاتفق مع أفراد العصابة على المقابلة ليلا بالقرب من المنزل ولكنه لم يتمكن من الوفاء بوعده اذ كان قد توجه الى لندن فى النهار واكثر من احتساء الخمر حتى فقد وعيه تماما . وقام رجال العصابة وحدهم بالسرقة رغم تغيب « ديك » وهاجموا المنزل واعتدوا على عفاف ابنة صاحبه وسرقوا منه مبلغا كبيرا من المال وكان وفاؤهم لزعيمهم كبيرا فذهبوا اليه بلندن حيث أعطوه نصيبه من حصيلة السرقة كاملا غير منقوص .

ذهبت محاولات رجال البوليس فى القبض على « ديك » وعصابته سدى .. فاعتقد ديك انهم لم يتوصلوا الى القبض عليه اما لشدة غبائهم أو لأن الحظ حليفه على طول الخط . فأخذ فى ارتكاب جرائمه بكثير من الاستخفاف ففى ليلة ١١ من يناير ١٧٣٥ ذهب وخمسة من أفراد العصابة الى منزل المستر « سوندرز » المزارع الغنى بناحيةشارلتون بمقاطعة كنث — وذلك فيما بين الساعة السابعة والثامنة وقرع أحدهم الباب واقتحموا المنزل عنوة فوجدوا صاحبه وزوجته وبعض الأصدقاء يتناولون العشاء فانضموا اليهم بكل هدوء ووعدوهم بألا يلحقوا بهم أذى اذا سلموهم ما لديهم من مال .

وكان هذا الحديث يدور بينهم وهم يتناولون طعام العشاء ويحتسون الخمر مع صاحب المنزل وضيوفه . اضطر المستر سوندرز — المجنى عليه أن يعطيهم الف جنيه ولكنهم بالرغم من ذلك أرغموه على أن يرشدهم الى المكان الذى يحتفظ فيه بأوانيه الفضية النادرة ففعل اذ لم يكن له خيار فى الأمر .

فرح اللصوص بالغنيمة الكبيرة التى كانت حصيلتهم فى تلك الليلة وبلغت الجرأة حدا كبيرا اذ عقدوا العزم على الاحتفال بهـذا النصر فى مكان الجريمة بالذات فنزلوا الى قبو المنزل واحضروا منه زجاجات كثيرة من مختلف الخمورواخذوا فى تعاطيها وارغموا صاحب المنزل وضيوفه على مشاركتهم فى احتفالهم وكان « ديك » يحتضن زوجة المسترسوندرز وقد أرغمها على الجلوس بجواره رغما منها حتى اغمى على المسكينة من هول الموقف فما كان من « ديك » الا أن فتح فمها كرها عنها وسكب فيه زجاجة كاملة من « البرا ندى » .

وظل رجال العصابة على هذه الحال الى بزوغ الفجر حيث انصرفوا خشية اكتشاف أمرهم وقد أخذ النور يغمر المكان . وكانوا يترنحون فى سيرهم من كثرة ما احتسوا من خمر .

وازداد « ديك » غرورا ووجد أنه من غير اللائق به وبعصابته أن يرتكبوا حوادثهم مترجلين فاشترى له ولباقى رجاله جيادا يمتطونها فى غزواتهم وكانت هذه هى أول مرة يمارس فيها « ديك » ركـوب الخيل .

وفى ٤ فبراير من نفس العام هاجم وافراد العصابة منزل المستر « شلتون » ولكنهم لسوء الحظ لم يجدوا به مالا الأمر الذى أغضـب « ديك » أشد الغضب اذ كان بحاجة ماسة الى المال فما كان منه الا ان قذف صاحب المنزل باناء كان على الموقد مملوءا بالماء الساخن فأصيب المسكين بحروق شديدة فى وجهه وعنقه .

ولما ضاق رجال الأمن ذرعا « بديك » وعصابته أعلنوا فى منشـور لصق على الجدران بجميع انحاء المقاطعة عن جائزة مقدارها مائة جنيه ذهبا لمن يرشد عن ديك أو يدلى بمعلومات تؤدى الى القبض عليه أو على احد أفراد عصابته ورغم أن المبلغ كان مغريا فى ذلك الوقت الا أن احدا لم يتقدم للبوليس بمعلومات .

ويريد القدر أن يتدخل عندما اختلف احد أفراد العصابة مع بعض زملائه فذهب الى البوليس وابلغ عن مكانها وقبض على جميع أفرادها ما عدا « ديك » الذى تمكن من الفرار فى آخر لحظة ... وهكذا أصبح وحيدا .

مما تقدم يبين للقارىء أن « ديك » بطـــل قصص هاريســـون انزوورث لم يكن الا لصا وضيعا .

عندما فر ديك بعد مهاجمة البوليس لعصابته أخذ طريقه متخفيا الى مدينة « كمبردج) وأثناء سيره فى الطريق رأى فارسا يمتطى جوادا

فظنه صيدا ثمينا وأخرج مسدسه واقترب منه وطلب اليه ان يسلمه ما معه من مال ولكن الفارس ضحك ملء شدقيه وحدق فى وجهه وقال « ان الكلب لا يأكل لحم أخيه يا ديك » الا تعرفنى يا رجل ؟ ولم يكن الفارس سوى قاطع الطريق المشهور فى كل انحاء انجلترا والمدعو كنج وكان قد تعرف عليه من شهور مضت .

سار اللصان فى الطريق وروى « ديك » لصاحبه ما وقع له ولأفراد عصابته وكيف أن البوليس قد قبض على جميع رجاله نتيجة خيانة أحدهم وأنه أصبح وحيدا — فهدأ زميله من روعه واتفق معه على أن يعملا معا دون اشراك أحد آخر معهما واتخذا لهما مخبأ فى مغارة غير مطروقة بغاية ابنج كانا يراقبان منها الطريق حتى اذا أقبل احد المسافرين سلبا ما معه من نقود ..

وكان « ديك » فى هذه الآونة قد تمكن من الاتصال بزوجته فكانت تحضر لهما الطعام والمؤونة الكافية لهما كل أسبوع وفى احد الأيام اضطرا الى ترك المغارة حيث انهما لبثا بها أياما دون ان يوفقا الى سرقة أحد وتوجها خفية الى سوق « سوفلك » علهما يجدان به صيدا واخذا يراقبان فتاتين كانتا قد باعتا قمحهما فى السوق بمبلغ أربعة عشر جنيها فعزم ديك على سرقة المبلغ ولكن كنج بالرغم من كونه لصا وسارقا أيضا الا أنه أخذته الشفقه بالفتاتين ورفض ان يشترك مع « ديك » فى السرقة .

عادا ادراجهما الى المخبأ « المغارة » وفى اليوم التالى أخذا فى مراقبة الطريق وشاهدا عربة قادمة فيه فهرعا اليها وأمرا السائق بالوقوف تحت تهديد السلاح ووجدا بها شخصا يدعي برادل واطفاله الصغار واستوليا منه على نقوده وساعته الذهبية وخاتم زواجه وقد توسل اليهما أن يتركا له الساعة والخاتم لأن لهما ذكرى عزيزة عنده فقبلا تحت شرط أن يضع لهما فى مكان عيناه مبلغ ستة جنيهات .

ولما ضاق رجال الأمن بأعمال « ديك » ومغامراته المستمرة رفعوا قيمة المكافأة لمن يرشد عنه الى مائتى جنيه وذلك فى اعلان وزع ولصق على الجدران فى ٤ من مايو ١٧٣٧ وقد أغرى هذا المبلغ « توماس موريس احد سكان المنطقة وعزم على البحث عن ديك والقبض عليه مهما كلفه ذلك فأخذ فى التحرى حتى علم انه يختبى بغابة ابنج فاصطحب معه زميلا له وجاب معه اطراف هذه الغابة وكان ديك يراقبهما عن كثب فشاهد موريس وهو قادم نحوه حاملا بندقية صيد فظن فى بادىء الأمر انه

لص من لصوص الغابة يريد الاستيلاء على بعض الأرانب البرية والغزلان فتقدم منه ومن صاحبه وقا لهما « لا يوجد فى هذه الغابة أرانب أو غزلان للسرقة والاحرى بكما أن تعودا من حيث اتيتما » فاجابه توماس « ولكن يوجد بها ديك ترين » وصوب نحوه بندقيته وأمره بأن يسلم نفسه .

لم يظهر على ديك أى اضطراب بل ظل رابط الجأش محافظا على هدوئه وأخذ يبادل توماس الحديث وهو يتقهقر الى الخلف ودخل الى المغارة والتقط منها سلاحه بسرعة البرق وأطلق النار صوب توماس فأرداه قتيلا لساعته أما زميل هذا الأجير فقد أطلق ساقيه للريح وظل يجرى الى أن خر مغشيا عليه فى الطريق .

وما ان وصل ذلك الى علم وزير الداخلية حتى أصدر الاعلان التالى « تعلن حكومة جلالة الملك أن ديك ترين قاطع الطريق المعروف قد قتل بطريقة وحشية فى يوم ٤ من مايو الماضى المزارع توماس موريس ولذلك فان حكومة صاحب الجلالة تعد بأن تدفع ثلثمائة جنيها لمن يدلى بمعلومات تؤدى الى القبض على هذا القاتل » . وجاء بهذا الاعلان وصفا دقيقا للمتهم .

فى الوقت الذى ارتكب فيه ديك جريمة قتل موريس لم يكن كنج فى المخبأ ولما علم بما حدث خشى العودة الى المخبأ وظل ديك وحيدا ولم تستطع زوجته أن تحضر له طعاما خشية اكتشاف مكانه ولما عضه الجوع اضطر الى ترك المخبأ ليلا والرحيل من المقاطعة وتوغل فى البلاد الى أن حط به عصا الترحال فى حانة التقى فيها بجزار يعرفه معرفة تامة اذ كان هذا الجزار يداينه بمبلغ من النقود من زمن طويل عندما كان يمتهن الجزارة فى مبدأ حياته بناحية وايت شابل . طالبه الجزار بالوفاء بدينه قائلا له انى على يقين يا ديك أن معك من النقود ما تستطيع أن تدفع به دينك . ثم التفت الجزار الى الجالسين بجواره من رواد الحانة وقال « فى استطاعتكم أيها السادة أن ترشدوا عن « ديك » وتفوزوا بالمكافأة بعد أن يسدد لى دينى » .

ولم تهتز مشاعر ديك لهذا التهديد السافر وتظاهر أنه يخرج بعض المال من جيبه واتجه صوب نافذة الحانة وقفز منها بخفة حيث امتطى صهوة جواده ولاذ بالفرار .

التقى ديك بعد ذلك بزميله « كنج » وكان مع هذا الأخير قاطع طريق آخر يدعى « يوثر » وساروا قاصدين لندن وفى الطريق قابلوا شخصا

يمتطي جوادا جميلا اعجب به « ديك » ايما اعجاب فعزم على الاستيلاء عليه بأية طريقة ، خاصة وقد كان جواده هزيلا يكاد لا يقوى على السير فأخرج مسدسه وصوبه نحو رأس راكب الجواد وهدده بالقتل اذا لم يترجل عنه ويتركه له فانصاع له الرجل وركب ذيك الجواد وهو يهزأ من صاحبه وسار في طريقه مع زميله غير آبه لشيء فقد امتلأت نفسه غرورا وظن أن رجال البوليس وقد أفلت منهم في كل حادثة لن يستطيعوا قهره والقبض عليه .

ولكن كانت هذه الحادثة الأخيرة هي السبب المباشر في نجاح رجال الحفظ في القبض على ديك فقد أسرع صاحب الجواد بالابلاغ وأخذ البوليس يبحث عن الجواد المسروق عله يكون مفتاحا للوصول الى ديك وتبين من التحريات أن جوادا تنطبق عليه أوصاف الجواد المسروق قد تركه شخص بحانه الأسد الأحمر فذهب مأمور المنطقة الى هناك وانتظر حضور صاحب الجواد وما أن حضر حتى القى القبض عليه وعلم منه انه كلف من قبل شخص بالذهاب الى الحانة واحضار الجواد واعطى للبوليس أوصافا لا تنطبق على « ديك » ولكنها تنطبق على زميله « كنج » شريكه في أعماله الاجرامية ودلهم على مكانه ولما ذهب رجال البوليس الى هذا المكان حاول « كنج » أن يطلق النار عليهم ولكن زناد المسدس لم ينطلق لخلل فيه وكان « ديك » بالقرب من « كنج » فأطلق غدارته صوب رجال البوليس ولكنه أخطأ الهدف وأصيب « كنج » برصاصة نفذت الى صدره وأحدثت به جرحا عميقا ولكنها لم تؤد الى وفاته ولاذ « ديك » بالفرار مر ةأخرى ـ اعترف كنج لقاضي التحقيق بجميع الجرائم التى ارتكبها مع « ديك » وأرشد عن الأمكنة التى يمكن أن يلجأ اليها للاختفاء بها وفتش البوليس هذه الأمكنة ولكنهم لم يعثروا فيها على أى اثر « لديك » .

أصبح « ديك » بعد ذلك في مركز لا يحسد عليه ، فقد قبض على « كنج» ساعده الأيمن كما قبض من قبل على جميع أفراد عصابته ، وأعلنت الحكومة عن جائزة مغرية لمن يرشدها عنه ، فلم يجد بدامن أن يخاطر بنفسه وأن يحاول ترك هذه المنطقة هروبا من مطارديه ، فسافر في ظلام الليل الى « يوركشير » حيث وصل اليها سالما وتسمى فيها باسم « جون بالمر » وتظاهر أمام الناس أنه من رجال الريف الأثرياء ، وساعده ما معه من مال على الظهور بهذا المظهر وتمكن بدهائه وذكائه من خداع أعيان هذه الجهة فوطد عرى الصداقة بينه وبينهم ، فكان يدعى الى حفلات الصيد التى يقيمونها في أراضيهم . ولكن روح الشر والميل الى اجرام كانت لا تزال متأصلة في نفسه ففي أحد الأيام عقب انتهاء حفلة صيد كان قد دعى اليها مع أعيان الجهة رأى ديكا من ديوك القتال يملكه أحد أعيان المدينة

« المستر هول » وكان الديك يقفز في الحقل مع مدربه استعدادا للاشتراك في حفلة « قتال الديوك » التي كان يمارسها نبلاء الانجليز في القرنين السابع والثامن عشر ولا أحد يدري ما الذي حدا « بديك » بأن يخرج غدارته من حزامه ويطلق النار على الطائر المسكين فيرديه قتيلا لساعته سوى روح الشر الكامنة فيه وحبه لسفك الدماء . ذهل صاحب الطائر عندما رأى طائره المحبب اليه وقد نفق بهذه الطريقة الوحشية فلام « ديك » لوما عنيفا على فعلته الشنيعة بقتله هذا الطائر البرىء الذي لا يملك من أمر نفسه شيئا ولكن « ديك » كان من الصفاقة بمكان اذ رد على صاحب الطائر « لو تمهلت قليلا يا سيدي حتى أحشو غدارتي لأطلقت النار عليك أنت أيضا » !!

عندئذ لم يتمالك المستر هول أعصابه وهرع الى قاضي المدينة يشكو اليه « ديك » استدعاه القاضي وطلب اليه أن يقدم اعتذارا لصاحب الطائر وأن يدفع له تعويضا مناسبا وأن يتعهد بعدم التعرض للمستر هول في المستقبل ولكن ديك ركب رأسه ورفض اجابة كل ما عرضه عليه القاضي فلم يجد هذا الأخير بدا من الأمر بسجنه اعمالا لنص القانون المعمول به وقتذاك حتى يقوم بالمطلوب منه .

دخل السجن والكل يعتقد أن « ديك » ان هو الا « بالمر » المزارع الثري ولكن القاضي ساورته الشكوك في حقيقة شخصيته فأخذ في التحري عنه وسأله مرة أخرى عن ثروته ومصدرها وأن يقدم له ما يثبت انه « جون بالمر » حقيقة .

أصر « ديك » على انه « جون بالمر » .وقال انه كان يعيش منذ عدة سنوات بمقاطعة « يوركشير » حيث تاجر في المواشي ولكنه لم يوفق واستدان مبلغا كبيرا من المال لم يستطع سداده فهجر مسقط رأسه وجرب حظه في جهات أخرى حتى وفق الى الثراء .

أخذ القاضي في التحري عن صحة هذه البيانات التي أدلى بها « ديك » وتوجه الى « ساتون » حيث علم انه كان بهذه الناحية شخص يدعى « جون بالمر » ولكنه لم يكن تاجر مواشي وانه ترك الناحية من مدة طويلة .

ظل « ديك » في السجن رهن التحريات التي كان يجريها قاضي التحقيق وفي ٦ من فبراير سنة ١٧٣٩ وقع ديك في أكبر خطأ ارتكبه في حياته الاجرامية ذلك أنه حرر خطابا الى أخيه وقع عليه باسم « جون بالمر » نصه الآتي :

يؤسفنى يا اخى أن أخبرك بأنه قد قبض على فى يوركشاير وأن قاضى التحقيق يجرى معه تحقيقا طويلا فى تهم نسبت الى .. ولوتمكنت يا اخى الحبيب من أن تشهد أمامه فى صالحى فقد يكون لشهادتك اكبر الأثر فى اظهار براءتى وانت تدرك تماما ما أعنى عندما أنهى خطابى هذا اليك بأننى شقيقك المخلص « جون بالمر » .

وما من شك فى أن المطلع على هذا الخطاب يدرك تماما أن « ديك » قصد بكتابته الى اخيه أن يوحى اليه بأن يشهد أمام القاضى أن الماثل أمامه فى التحقيق هو « جون بالمر » حقيقة .

ولأمر ما لم يكشف عنه التحقيق فى صفحات هذه القضية الطويلة لم يصل الخطاب الى المرسل اليه وسلم خطأ الى « المستر سميث » وهو مدرس تقدمت به السن كان يدير مدرسة لتعليم الصبية فى مسقط راس « ديك » وكان هذا الأخير من تلاميذه وما أن ألقى نظرة على الخطاب حتى تعرف على خط « ديك » وايقن أن محرره ليس « جون بالمر » كما أدعى فى الخطاب بل هو « ديك » قاطع الطريق الهارب من العدالة .. وسرعان ما شهد بذلك أمام قاضى التحقيق وكانت شهادته هى مفتاح القضية ونهاية حياة « ديك المغامر » .

قدم « ديك » الى محكمة الجنايات بتهم عدة نسب اليه ارتكابها فى أزمنة وأمكنة مختلفة منها القتل والسطو والسرقات بالاكراه وتعرف عليه شهود كثيرون بأنه هو نفسه « ديك ترين » فقضت المحكمة باعدامه شنقا وأودع السجن انتظارا لتنفيذ الحكم .

ومن طريف ما ذكره « الايرل بركنهد » فى تعليقه على هذه القضية أن المتهم قبل تنفيذ الحكم عليه بعدة أيام طلب من ادارة السجن أن تحضر له عباءة قرمزية اللون وحذاء اسود لامعا ليرتديهما عند التنفيذ وقد أجيب لطلبه هذا كما انه استأجر عشرة أشخاص أمرهم بارتداء ملابس الحداد السوداء والسير فى جنازته .

وفى اليوم المحدد للتنفيذ سيق المتهم الى ساحة الاعدام التى امتلأت بجمهور كبير من الناس وكان يتقدم الموكب العشرة الأشخاص الذين استأجرهم بينما أخذ « ديك » فى تحية الجماهير بانحناءة طريفة وصعد درجات المشنقة فى ثبات وهدوء عجيبين حيث نفذ فيه الجلاد الحكم فى يوم ١٠ من ابريل سنة ١٧٣٩ .

وهكذا انتهت حياة هذا المغامر الجرىء وبطل قصص ابنزوورث الروائى الانجليزى الذائع الصيت ولم يكن فى الحقيقة الا لصا دنيئا وقاتلا وسفاك دماء .

٣ ـ محاكمة الملكة كارولين زوجة الملك جورج الرابع ملك انجلترا

امام مجلس العموم البريطانى

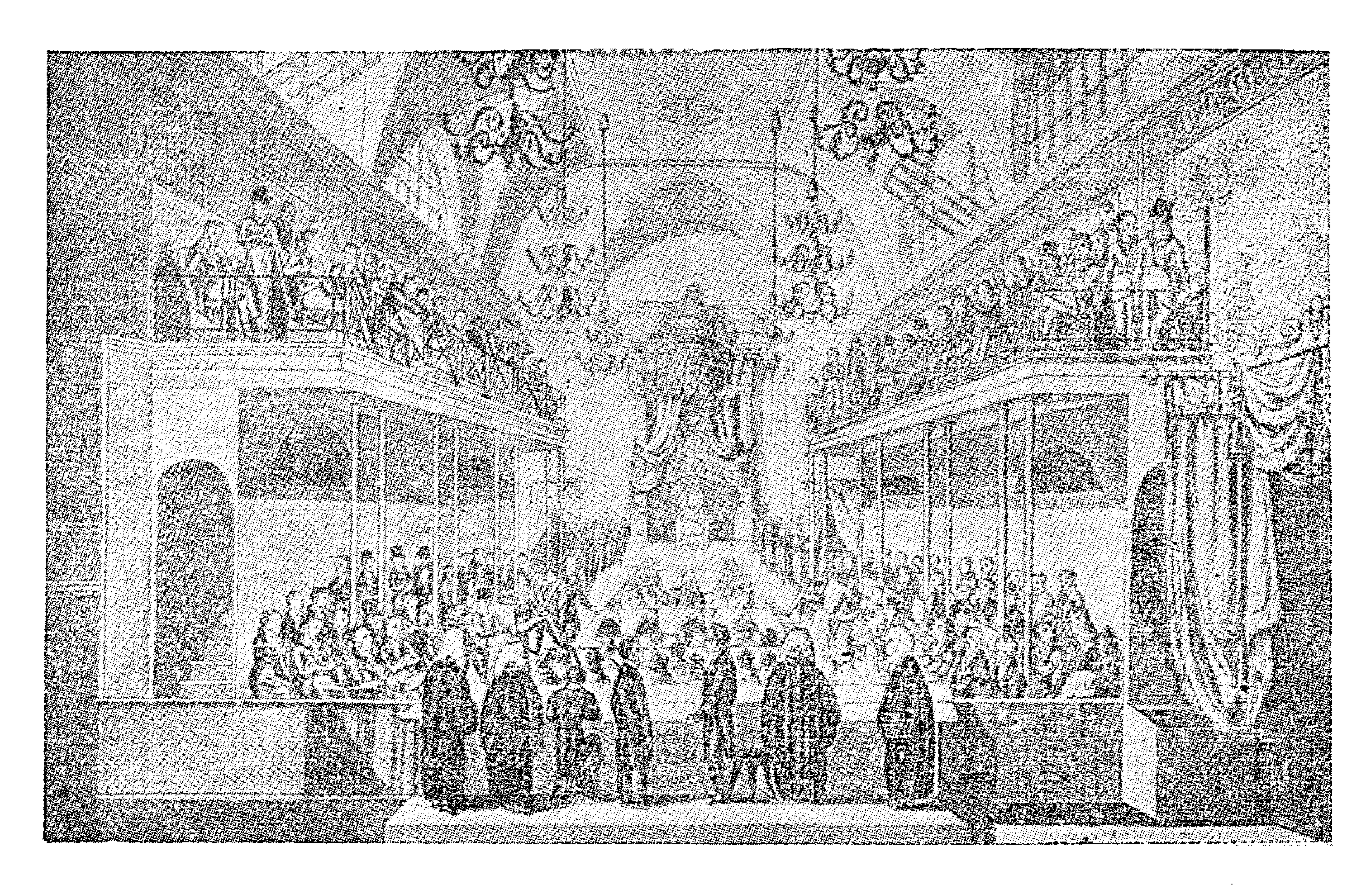


الملكة كارولينا



أهم الشخصيات :

● الملك جورج الثالث	ملك انجلترا
● أمير ويلـــز	ولى العهد (فيما بعد الملك جورج الرابع)
● كارولين أميليا اليزابيث	زوجة ولى العهـــد
● اللورد مالسلبورى	رئيس وزراء الملك جورج الثالث ووزير المالية
● شـــارلز لامب	الكاتب الانجليزى المعروف } صديقان حميمان
● اللورد بيرون	الشاعر الانجليزى المعروف } لـــكارولين
● الايرول أوف ليفربول	عضو النواب عن مدينة ليفربول
● اللورد داكر	عضو اللوردات
● برثوميو برحامى	عشيق الملـكة كارولين
● تيودور ماجوشى	شاهدا اثبـات ضد الملـكة
● لويز ديمونت	
● الزمن : عام ١٧٩٢	



قاعة مجلس العموم أثناء المحاكمة

كان الملك جورج الثالث ملك انجلترا ملكا عاقلا .. ولكنه اخطأ خطأ لا يغتفر عندما أرغم ولى عهده « أمير الفا » على الزواج من « كارولين اميليا اليزابيث » ابنة أخته من دوق برنزويك الألمانى .

كان هذا الزواج سياسيا ما فى ذلك شك ومن جهة أخرى كان الملك قد ضاق ذرعا بسلوك ولى عهده الذى كان يعاشر سيدة تدعى مسز فتزهربرت معاشرة الازواج فأراد أن يضع حدا لسلوكه المشين »

كان ولى العهد شديدالاسراف اذ بلغت ديونه فى عام ١٧٩٢مايقرب من نصف مليون جنيه الأمر الذى حدا برئيس الوزراء ان يعرض الأمر على الملك فقبل أن يسدد ديونه ابنه على شرط أن يتولى رئيس الوزراء اقناعه بالزواج من كارولين وعلى هذا الاساس رضخ ولى العهد لأوامر أبيه في هذا الزواج مرغما .

كان الدوق برنزويك والد كارولين احد القواد الالمان الذين وقفوا الى جانب انجلترا فى حربها ضد فرنسا وكانت والدتها الاميرة أوجستا اخت الملك جورج الثالث ولم تكن كارولين جميلة بل كانت قصيرة القامة غير متناسقة الأعضاء كما انها لم تكن صغيرة السن بل كانت وقت خطبتها الى ولى عهد انجلترا قد ناهزت الثامنة والعشرين ربيعا .

ويقول بعض المؤرخين ان كارولين كانت غير متزنة فى احاديثها بل رماها بعضهم بالجنون كما كان مظهرها الخارجى غير حسن وتميل الى الفحش فى الكلام .. وكان ولى العهد يجهل تمام الجهل كل هذه النقائص التى تشين كارولين ولم يتجاسر أحد من الوزراء الذين سبق لهم أن قابلوها وتحدثوا اليها أن يفضوا لولى العهد بذلك وأن يكاشفوه بحقيقتها وذلك خوفا من الملك الذى كان شديد الرغبة فى أن تتم هذه الزيجة بأى ثمن .

اعتزم الملك جورج أن يخطب كارولين لابنه رسميا فبعث بوزيره اللورد مالسلبورى الى دوق برنزويك للاتفاق معه وتحديد ميعاد لاتمام العقد . وقد كتب اللورد فى مذكراته بهذه المناسبة أنه قابل كارولين فلاحظ اتسام كل أعمالها والفاظها بالخشونة والغلظة وانها بعيدة كل البعد عن الرقة وحسن الذوق وكانت لا تستحم الا نادرا بالرغم من الحاح وصيفاتها عليها ومن مداعباتها السخيفة التى تنم عن تفاهتها انها أثناء وجود اللورد مالسلبورى فى ضيافة والدها انتابها ألم شديد فى أسنانها كان من جرائه ان خلع لها الطبيب ضرسا نخره السوس فما كان منها الا أن وضعت الضرس فى مظروف وأرسلته الى اللورد مالسلبورى مبعوث الملك !!

وعندما تقابل الخطيبان لاول مرة فى انجلترا اتضح بجلاء ووضوح ان كليهما لم يفز باعجاب الاخر فقد كاد يغمى على ولى العهد عندما شاهدها حتى انه طلب الى أحد مرافقيه أن يسعفه بكأس من البراندى أما هى فقد حملقت فى وجهه ببلاهة وقالت لوصيفاتها باللغة الفرنسية « انني أراه ضخما جدا » .

عقد الزواج فى ٨ من ابريل سنة ١٧٩٥ بكنيسة « الشابل رويال » وكان ولى العهد فى حالة يرثى لها عند اجراء مراسيم العقد فقد علت وجهه صفرة شديدة وقيل بأنه كان ثملا أما كارولين فقد كانت على العكس مبتهجة أشد الابتهاج .

امضى العروسان شهر العسل بقصر وندسور وفى الصيف قاما بزيارة مصيف « بريتون » وفى الشتاء اعتادا أن يقيما «بكارلتونهوس» وهو احد القصور التى يمتلكها ولى العهد .

وكان لابد لهذا الزواج غير الموفق أن يكون مصيره الفشل فقد لوحظ من مبدأ الأمر وعقب الزواج مباشرة أن أحد الزوجين لا يكاد يحتمل الاخر وبعد ميلاد الاميرة شارلوت .. أول طفلة لهما كان كل منهما يعيش فى جناح مستقل عن الاخر بقصر كارلتون وفى أبريل سنة ١٧٩٦ كتب ولى العهد الى زوجته خطابا طلب اليها فيه ان تقتصر مقابلاتهما على ما تفرضه عليهما واجباتهما الرسمية فقط .

لم يكن ولى العهد محبوبا من افراد الشعب البريطانى بل كان ما يقرب من نصف سكا نالجزر البريطانية وقتذاك لا يحبونه اذ كان مقامرا وزير نساء ومسرفا شديد الاسراف فى كل شىء حتى بلغتديونه ستمائة الف جنيه .

وفى الوقت الذى كانت أسهم هذا الأمير عند أفراد الشعب قد وصلت الى الحضيض أخذت الاميرة كارولين عندهم فى الصعود .

وفى عام ١٨٠٤ قام نزاع بين الزوجين على رعاية طفلتهما « الأميرة شارلوت » فقد كان كل منهما كما أسلفنا يعيش وحده ورأى ولىالعهد أن تكون ابنته تحت رقابته هو والا يكون لزوجته اى شأن بها وقد حصل ذلك عقب اشاعة قوية بأن كارولين قد حملت سفاحا حتى ان الملك امر بتشكيل لجنة من اربعة من الوزراء كلفها باجراء تحقيق سرى فى هذا الشأن الخطير واطلق على هذا التحقيق « التحقيق الحساس » وكيف لا يكون حساسا وهو يمس شرف اكبر سيدة فى البلاد .

ثبت من هذا التحقيق وبطريقة لا تقبل الشك بأن الأميرة كانت على علاقة مشينة ببعض ضباط الحرس وانها كانت تعاشر « وليم اوستين » وهو شاب وسيم « ابن مربية ولى العهد » معاشرة مشكوكا فى أمرها كثيرا .

رفع نتيجة هذا التحقيق الى الملك جورج الثالث فأمر باستبعاد اسم كارولين من البلاط الملكى وقد التمست من الملك أن يستمع الى دفاعها فلم يأبه لها وكان رجال البلاط فيما عدا العدد القليل منهم يحقدون عليها حقدا شديدا لاستهتارها وسلوكها الشائن . ولكن غالبية الشعب الذى لم يكن يدرى عن سلوكها شيئا كان فى جانبها .

ولما اشتد المرض على الملك جورج الثالث رأى مجلس البلاد أن يعين ولى العهد نائبا له الى أن يبل من مرضه وكانت الأميرة كارولين تعيش وحدها فى قصر كنجتون ويتردد عليها بعض الأشراف الذين كانوا على صلة طيبة بها ومن بينهم اللورد بيرون الشاعر الانجليزى المعروف والكاتب الكبير شارلز لامب وغيرهما وكانوا كثيرا ما يوغلون صدر الأميرة ضد ولى العهد لكراهيتهم الشديدة له حتى انهم أشاروا عليها بأن تتحداه وتطالب برؤية ابنتها الأميرة شارلوت يوميا .

وفى ١٠ من فبراير سنة ١٨١٣ نشرت جريدة الكرونيكل الصباحية نص خطاب كانت أرسلته كارولين الى زوجها ولى العهد الذى أعاده اليها دون أن يفضه ويطلع عليه وكان هذا الخطاب موضع دهشة قراء تلك الجريدة الواسعة الانتشار من سكان لندن اذ فيه جاهرت كارولين ولى العهد بالعداء السافر وأعلنته بكل جراة انها ستدافع عن سمعتها التى يحاول الاساءة اليها بكل قواها .

كانت لغة هذا الخطاب آية فى البلاغة وحسن الأسلوب فقد اختيرت الفاظه بعناية ودقة ولا شك أن الأميرة كارولين لم يكن لها الفضل فى اختيار هذا الأسلوب بل الأرجح أن يكون محرره هو الكاتب المعروف « شارلز لامب » الذى كان كما أسلفنا مقربا اليها والذى طالما تهكم فى أشعاره من ولى العهد وسلوكه وكانت هذه الأشعار تقابل من الشعب بحماس كبير .

أخذت الجرائد تعلق على هذا الخلاف بين الأمير والأميرة وكتبت مقالات كثيرة فى هذا الشأن وكان بعض الناس يناصر ولى العهد والبعض الآخر — وهو الأغلبية — يؤيد الأميرة ويدافع عنها دفاعا حارا ، وبالرغم من وقوع حوادث أعظم اهمية كانت أجدر بأن تشغل بال الرأى العام الانجليزى مثل انتصار « الدوق ولنجتون » على الفرنسيين الا أن الخلاف بين ولى العهد وزوجته كان له الأهميـة القصوى وكان حديث الناس جميعا .

غير أن هذا الحال لم يدم طويلا فقد وقع بعد ذلك الحادث التاريخى الهـام وهو هزيمة جيش نابليون بونابارت فى فرنسا واستسلامه للانجليز . واعقب ذلك زيارة بعض الملوك ورؤساء الدول لانجلترا . وكان ولى العهد بحكم منصبه يرافقهم فى تجوالهم بالعاصمة .

وفى أحد الليالى كان ولى العهد يصحب ضيوفه فى حفلة ساهرة اقيمت بدار الاوبرا الملكية حيث قوبل الجميع بعاصفة من الهتاف والتصفيق وما كاد هؤلاء الملوك والرؤساء يأخذون أماكنهم فى المقصورة

التى أعدت لهم أنتظارا لرفع الستار حتى هبت عاصفة أخرى من التصفيق الحاد والهتاف من افراد الشعب الذين كانوا يحتلون مقاعد الصالة اذ دخلت الأميرة كارولين دار الاوبرا واتخذت لنفسها مقصورة بجوار مقصورة الملك وولى العهد ولكن هذا الاخير لم تذهب عنه رباطة جاشه بل نهض من مقعده وانحنى للجماهير المصفقة كأن التحية له ولمرافقيه دون سواهم وكان قيصر روسيا أحد الضيوف فجعل يجيل ببصره ببلاهة شديدة خلال منظاره فى وجه ولى العهد ووجه الأميرة !!

لم تعرف كارولين كيف تستغل عطف الشعب عليها لمصلحتها بل ضاقت ذرعا بانجلترا ورحلت الى القارة « اوروبا » حيث ظلت تتنقل من عاصمة الى اخرى لمدة ست سنوات كانت تحيى فيها حياة بوهيمية لا تليق بمركزها السامى واصطفت لنفسها وصيفا ايطاليا يدعى «برجامى» كان يرافقها فى غدواتها وروحاتها وأخذت ألسنة الناس تتحدث عنهما حديثا شائنا بلغ مسامع ولى العهد فعزم على أن يعمل على الانفصال من زوجته بأية وسيلة .

وفى هذه الأثناء توفى الملك جورج الثالث وأرتقى العرش من بعده ولى عهده باسم « جورج الرابع » وعلمت كارولين وهى فى أوروبا بنبأ ارتقاء زوجها الى العرش فعزمت على العودة الى انجلترا لتشارك زوجها الملك ولكن الملك الجديد كان من جانبه يحاول عرقلة خطوتها هذه وأن يمنعها من العودة الى البلاد فأرسل يفاوضها فى هذا الأمر وبعث بأحد وزرائه اليها الذى عرض عليها معاشا سنويا مقداره خمسون ألفا من الجنيهات اذ تنازلت عن حقها فى المطالبة بمشاركته التاج على أن تعيش خارج انجلترا .. ولكنها رفضت هذا العرض واستقلت باخرة من ميناء كاليه حيث وصلت الى ميناء دوفر فى ٥ من شهر يونية .

والأمر الذى يدهش له كثيرا أن الشعب رغم ما كان يعلمه من خلق كارولين المشين ورغم هجرتها للبلاد مدة طويلة فانه استقبلها عند وصولها استقبالا رائعا وبلغ من حماس الشعب لها أن قاد عربتها على طول الطريق الموصل الى لندن .

رأى الملك جورج انه قد آن الأوان ليضرب ضربته القاضية ويتخلص من زوجته وكان تحت يده وثائق هامة تثبت عليها الخيانة الزوجية بطريق قاطع فتقدم الى مجلس اللوردات برسالة تلاها على المجلس يوم ٦ من يونيه سنة ١٨٢٠ هذا نصها :

« بمناسبة عودة الأميرة كارولين من الخارج بعد فترة طويلة قضتها فى التجوال بأوربا يرى الملك أن يقدم للمجلس بعض الوثائق عن سلوك

الأميرة اثناء غيابها عن البلاد والتى من حق المجلس الموقر أن يلم بها تمام الالمام حتى يتخذ مايراه بشأنها وقد كان بود الملك أن يتفادى هذه الخطوة المؤلمة له ولأفراد شعبه على حد سواء ولكنه ليس له خيار فى الأمر اذ أن المسألة تتعلق بكرامة التاج الذى فوق كل شيء الأمر الذى لابد من تحقيقه بواسطة مجلس اللوردات الموقر حتى يدفع عن شرف وكرامة التاج البريطانى كل ما من شأنه المساس به » .

وما أن علمت كارولين بأمر هذه الرسالة الا وتقدمت هى الأخرى الى مجلس اللوردات بالعريضة الآتية التى تلاها بالمجلس اللورد داكر :

« وصل الى علم الملكة أن لجنة قد شكلت من مجلس اللوردات لتحقيق شكوى تقدم بها الملك ضدها وأن هذه اللجنة ستقوم ببحث هذه الشكوى تحت ستار من السرية المطلقة التى تعترض عليها كل الاعتراض واذا أصر المجلس على رايه فى اجراء التحقيق بصفة سرية وهو راى لا يتفق مع النظام الدستورى للبلاد فان الملكة رغم أنها لا تخشى شيئا من الادعاءات الا أنها ترجو ألا تحرم من سماع أقوالها وأقوال شهودها والمدافعين عنها .

« ولما كانت الملكة قد أرسلت فى استدعاء شهودها من خارج البلاد وقد يمر بعض الوقت قبل تمكنهم من الحضور فانها تطلب تأجيل التحقيق حتى يصل هؤلاء الشهود » .

وكان من راى اللوردات داكر وبروهام ودنمان ووليمز سماع شهود الملكة وجهروا برأيهم هذا عند أخذ الأصوات بالمجلس ولكن الأغلبية لم توافق وأخذت اللجنة السرية فى فحص الوثائق والمستندات التى تقدم بها الملك وانتهت فى ٤ من يوليه الى القرار الآتى :

« استبان لهذه اللجنة من فحص المستندات والوثائق المقدمة ضد الأميرة كارولين وثبت لديها بطريق قاطع انها أثناء وجودها خارج الجزر البريطانية قد سلكت سلوكا مشينا لا يتفق وكرامة مركزها . اذ شهد عدد كبير من مختلف الطبقات وفى مختلف دول أوربا شهادة تقطع بأن الأميرة كانت على علاقة جنسية مع شخص أجنبى وكانت تعيش معه معيشة مبتذلة . ولما كان هذا السلوك من جانبها لا يمس شخصها وحدها بل يمس الشعب البريطانى بأجمعه وكرامة التاج فان اللجنة تنصح باتخاذ اجراء تشريعى فى هذا الشأن » .

تقدمت كارولين بدورها الى المجلس بطلب آخر الحت فيه على هذا المجلس بالموافقة على سماع شهودها وكان نصيب هذا الطلب الاهمال التام .

وبعد أيام تقدم نائب مدينة ليفربول الى المجلس بمشروع قانون يقضى بحرمان كارولين من حقوقها وامتيازاتها كزوجة للملك وفى الوقت نفسه بفصم عرى الزوجية بينهما وكانت المذكرة الايضاحية المرفقة بهذا المشروع تتضمن شرحا وافيا لما نسب الى كارولين اذ بدأت بسرد تفاصيل مغادرتها لانجلترا فى عام ١٨١٤ وكيف انها أثناء وجودها بمدينة ميلان بايطاليا قد اتخذت لنفسها وصيفا من بيئة وضيعة يدعى « برتولوميو برجاس » ونشأت بين الطرفين علاقة مشينة لا تتفق وكرامتها كزوجة لولى العهد فى ذلك الوقت وأنها أغدقت على هذا الشخص المغمور القابا ارادت أن ترفعه بها الى مرتبة الأشراف وكانت ترافقه فى الأندية الليلية ذات السمعة السيئة فى مختلف بلاد أوربا بطريقة يندى لها الجبين وتدعو الى الاشمئزاز وأن هذا التصرف من جانبها ليس من شأنه المساس بمركزها الرفيع فقط بل قد أساء أيضا الى شخص زوجها وجميع أفراد العائلة المالكة والشعب البريطانى بأسره الأمر الذى يرى معه مجلس العموم أن يسجل مع عميق الأسف هذا التصرف الشائن من جانب الأميرة كارولين وأن يتقدم الى جلالة الملك بكل خضوع بمشروع القانون سالف الذكر والذى بمقتضاه تحرم الأميرة من لقبها كملكة ازاء سلوكها المعيب اذ انها لا تستحق بعد ذلك شرف الاستمرار كزوجة للملك وأن هذا الزواج يعتبر لاغيا بمجرد صدور المرسوم بذلك من جلالة الملك بناء على رغبة أفراد رعيته الأوفياء الممثلين فى هذا المجلس الموقر .

***

حاولت كارولين من جانبها عرقلة سير هذا القانون فتقدم اللورد داكر فى ٦ من يوليه باقتراح بطلب فتح باب المناقشة فيه وسماع أقوال كارولين وشهودها وقد أخذ الرأى على هذا الاقتراح فوافقت عليه الأغلبية على أن يناقش فى جلسة سرية لا يحضرها الا الأميرة والمدافعين عنها .

وفى مساء يوم ١٩ من اغسطس اجتمع البرلمان الانجليزى بمجلسيه وبدىء فى مناقشة مشروع القانون واتفق الرأى على استدعاء الأشخاص الذين سئلوا فى التحقيق السرى وكانت كارولين حاضرة فى هذا الاجتماع .

نودى الشاهد الأول « تيودور ماجوشى » وما أن سمعت كارولين اسمه حتى أسرعت الى خارج القاعة وهى فى أشد حالات الهياج .

قرر الشاهد أمام المجلس بعد حلفه لليمين انه كان خادما للأميرة أثناء وجودها بأوربا وأنه يعرف برجامى عشيقها ويعرف انه من بيئة وضيعة وقد اختارته الأميرة وصيفا لها لأنه كان وسيما ـ وقال انه كثيرا

ما رأى الأميرة تتردد ليلاً على غرفته وهى بملابس النوم كما أنها كانت تتناول طعام الافطار معه دائمـا وكان من عادتها أن تتنزه كل يوم فى حديقة قصرها على ظهر حمار وكان برجامى دائما فى ركابها يرفعها بين يديه حين امتطائها للحمار أو ترجلها عنه .

وزاد الشاهد انه سافر مع الأميرة الى تونس حيث أمضت عدة ليال فى قصر « الباى » ــ حاكم تونس ــ وأثناء زيارتها لسوريا ، كان برجامى يشـــاركها خيمتها ، وأجاب الشـــاهد على سؤال وجه اليه من المركيز بالانجهام بأن برجامى كان يحضر بنفسه ماء الاستحمام للأميرة ويدخل معها الحمام دون رقيب !!

أما الشاهدة الثانية فكانت لويز ديمونت السويسرية وصيفة الأميرة فشهدت بأن برجامى كان يشارك الاميره غرفة نومها وفى احدى الليالى شاهدته متوجها الى غرفتها مرتديا ثياب النوم وينتعل خفا وكانت الاميره هى الأخرى تلبس قميص النوم وفى الصباح عندما دخلت الشاهدة الى غرفة الأميرة لاحظت أن سريرا واحداً من السريريين اللذين بالغرفة هو الذى استعمل فقط !!

وشهد آخرون بمثل ما شهد به الشاهدين السالف ذكرهما .

ولم يحضر أحد من شهود الأميرة كارولين .

وكان الدفاع عن الأميرة بطبيعة الحال فى مركز لا يحسد عليه وقد استهل المحامى المشهور بروجام دفاعه بتلاوة فقـرات من خطابات كان قد ارسلها الى الأميرة الملك الراحل جورج الثالث والد الملك الحالى وفى هــذه الخطــابات يشيد بحسن أخلاقها وصفاتها الحميدة وأنها خـير زوجة لابنه ولى العهد .

وزاد بأن شهادة الشهود بنيت على مجرد اشاعات لايمكن أن ترقى الى مرتبة الدليل فى مثل هــذه الدعوى الدقيقة ــ وانتهى بذلك من مرافعته التى لم تستغرق وقتا طويلا .

***

بدىء بعد ذلك فى أخذ الرأى على مشروع القانون بعد هذا التحقيق الطويل ورئى ادخال تعديل فى بعض عباراته دون أن يمس ذلك صلب الموضوع وفاز المشروع بأغلبية تسعة أصــوات ولما كانت هــذه الأغلبية ضئيلة فقد اقترح تأجيل البت فيه لمدة ستة أشــهر تنتهى فى ٢٣ من نوفمبر ووفق على الاقتراح .

ومن المدهش انه ما علم الرأى العام بتأجيل المشروع الا وعم الشعب بأسره الفرح وأخذ الناس فى تزيين شرفات منازلهم بالورود والرياحين اذ أن بغضهم للملك كان شديدا وكانت كارولين موضع محبتهم حتى أنهم لم يصدقوا الاتهامات التى وجهت اليها ولم يقيموا لها وزنا اعتقادا منهم بأنه تدبير من الملك ومن يناصره .

وفى يوم ١٩ من يوليه سنة ١٨٢١ احتفل رسميا بتتويج الملك جورج الرابع ملكا على البلاد وقد حاولت كارولين أن تقحم نفسها على هـذا الاحتفال بدخول مكانه « وستمنستر ابى » ولكنها منعت بشدة .

وبعد شهرين من تتويج الملك قضت كارولين نحبها ونقل جثمانها عبر البحار الى موطنها الأصلى المانيا حيث ووريت التراب فى مدينة برنزويك بجوار أسلافها .



« القسيس يرغم المركيزة ده جانج على شرب السم »

٤ ـ مصرع المركيزة ده جانج

أهم الشخصيات :

- **المركيزة ده جانج** — المجنى عليها
- **المركيز ده كاستلان** — زوجها الأول
- **المركيز ده جانج** — زوجها الثانى
- **القسيس جانج** — شقيقتان للمركيزة ده جانج
- **الفـارس**
- **الزمن عام ١٦٤٩**

القسيس القاتل او مصرع المركيزة ده جانج

بطل هذه القضية هو القسيس « ده جانج » أحد رجال الكنيسة المبرزين فى عهد الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا ويبين للقارىء عند الاطلاع على تفاصيلها ماقد تصل اليه الطبيعة البشرية من فساد وفجور.

وليس فى تاريخ العالم كله شخص اتصف ببرود الاحساس وعدم التأثر اكثر من « القسيس ده جانج » فقد كان يكمن فى جسده ألف شيطان . كما كان عنيف الخلق ، عنيدا ، صلب الراى الى حد كبير . فاذا تحدثت اليه ظهر لك فيه من المكر ورأيت له من أنواع الدس ما يتصف بمثله أخبث الخبثاء ولكنه فى الوقت نفسه قديرا على أن يتحول الى ملاك كريم فى لحظة واحدة فتحسب اذا جلست اليه انه الطيبة مجسمة حتى ليخفى عليك مافى نفسه من مكر ودهاء .

أما الضحية فى الدعوى فهى « المركيزة ده جانج » زوجة اخيه وكانت سيدة صغيرة على جانب كبير من الجمال ، كما كانت طاهرة الذيل متدينة الى أقصى حدود التدين وقد لمعت المركيزة فى بلاط الملك لويس الرابع عشر رغما من انها لم تنشأ نشأة ارستقراطية ولكنها برقتها وخلقها القويم ارتفعت الى مكان مرموق فى البلاط .

كما كانت المركيزة على شىء غير قليل من الثراء فقد ورثت من جدها لوالدها ما ينيف على العشرين الف من الجنيهات ثمن أراض زراعية وكان اسمها قبل الزواج « مدموازيل شاتوبلان » .

كان سنها ثلاثة عشر عاما عندما عقد قرانها لأول مرة على « المركيز ده كاستلان » الابن الأكبر للدوق ده فيلار من أعرق الأسر الفرنسية وكان ذلك فى عام ١٦٤٩ قدم المركيز زوجته الى البلاط الفرنسى وأعجب الملك الشاب لويس الرابع عشر بجمالها ورقتها حتى انه تنازل ومنحها شرف الرقص معه فى احدى الحفلات الرسمية بالبلاط وكان كثيرا ما يدللها فأطلق عليها اسم « الريفية الحسناء » وعندما زارت الملكة كريستينا ملكة

السويد البلاط الفرنسي زيارة رسمية اعجبت كثيرا بجمال الريفية الحسناء حتى انها صرحت ـ رغم أن المعروف عنها انها لا تسرف في المدح ـ بأن جمالها قد فاق كل جمال ولو انها ـ اى الملكة ـ كانت رجلا لوقعت في حبائل غرامها من أول نظرة !!

ولم يكن جمال المركيزة هو صفتها الوحيدة بل كان لها قلب رقيق يدمى لمصائب الآخرين وفي الوقت الذى حازت فيه اعجاب كل من رآها وظنت أن الحياة مقبلة عليها اذ رزئت بموت زوجها الشاب الذى لقى حتفه غرقا وهو على ظهر سفينة بالقرب من جزيرة صقلية . حزنت عليه حزنا شديدا اذ كانت تكن له أعظم الحب فامتنعت عن الظهور في حفلات البلاط وعاشت فترة من الزمن مع والدتها ثم انتقلت الى قرية افينون لمباشرة أعمالها الزراعية بنفسها .

وكان من الطبيعي الا تظل هذه « الوردة المتفتحة » مدة طويلة دون زواج فكان طلاب يدها يحومون حولها كما تحوم النحلة حول اناء العسل . الى أن وقع اختيارها على المركيز ده جانج وهو من اشرف الأسر الفرنسية فقبلته زوجا لها عندما تقدم لطلب يدها وكان المركيز آنذاك فيالعشرين من عمره .

وبالرغم من انهما كانا يتبادلان الحب الا أن مزاجهما واخلاقهما كانتا على طرفي نقيض . كانت الزوجة مثالا للرقة والنعومة بينما الزوج كان متعجرفا وغيورا عابسا متجهم الوجه على الدوام . فلم يكن يأبه كثيرا لجمال زوجته ولم يلبث طويلا الا وفتر احساسه نحوها . انتهى به الأمر الى عدم الاهتمام بها فكثر غيابه عن منزله باحثا عن اللذة والتسلية مع نساء اخريات .

لقد كان لهذه الزهرة المتفتحة كل العذر اذ هي حادت عن جانب الفضيلة ازاء سلوك زوجها الشائن ولكنها كانت كما سبق القول طاهرة الذيل متمسكة بأهداب الفضيلة فاذا اتفق أن غازلها احد المترددين على منزلها أو حاول خطب ودها صدته بقوة وعزم .. كان زوجها رغم اهماله لها غيورا عليها غيرة لا حد لها وتزداد غيرته حدة اذا صادف وشاهدها تحادث أحد من الناس فكانت زوجته لاتراه الا عابسا . حانقا دون داع وظلا على هذه الحال مدة من الزمن كان الوفاق بينهما يكاد يكون معدوما .

وأخيرا دخل على مسرح الدعوى بطلها « القسيس ده جانج » وهو الأخ الأكبر للمركيز اذ جاء الى منزل أخيه للاقامة معه وصحب معه شقيقهما الثالث الملقب « بالفارس » كان هذا الفارس اسما على غير مسمى اذ كان ضعيف الارادة غير متزن سقيم الخلق وما لبث القسيس

الا ونشر سلطان نفوذه على اخويه فكان هو العقل المدبر لكل الامور حتى سمح له المركيز بأن يدير شئونه المالية كلها الأمر الذى جعل المركيز ده جانج سيد المنطقة بالاسم فقط .

استلفت جمال المركيزة الفاضح نظر القسيس الخبيث فوقع فى غرامها من أول نظرة ولم يأبه للقسم الذى اقسمه عندما رسم قسيسا بأن يظل اعزبا طول حياته كما لم يقم وزنا بأن هذه السيدة التى وقع فى غرامها لم تكن الا زوجة اخيه وهى محرمة عليه بل ضرب بكل ذلك عرض الحائط وبدأ يلف حباله حولها كما تلف الحية السامة حول جسد فريستها .

ظن فى دخيلة نفسه فى مبدأ الأمر انه ليست هناك صعوبة تعترض طريقه ليفوز بزوجة اخيه فقد مر عليه نساء أخريات وليست هذه أول مرة يحنث فيها بقسمه أمام المحراب فى الكنيسة فطالما كانت له ضحايا كثيرات وهو يرتدى لباس الكهنوت .

لاحظ هذا القسيس الماكر بما عرف عنه من دهاء ان ثمة فتور يقوم بين المركيزة وزوجها .. وقد يلجأ الرجل العادى الذى ليس له دهاؤه فى مثل هذه الحال الى زيادة اسباب هذا النفور حتى يصل الى غرضه الدنىء ولكنه لم يفعل ذلك بل على العكس قابل المركيز وجعل يلومه على عدم عنايته بزوجته واهماله لها واخذ يمتدح سلوكها ويشيد بخلقها الحميد لدرجة أن المركيز سرعان ما بدأ يشعر انه مخطىء فى حق زوجته وان مثل هذه الحلية الجميلة من الظلم أن تهمل وما لبث بعد هذا الحديث الذى جرى بينه وبين القسيس الا أن أخذ فى التودد من جديد الى زوجته وطلب رضاها ·· وقد قرت الزوجة الطيبة عيناً بذلك وظنت ان الأيام القاتمة التى مرت بها فى طريقها الى الزوال وأن زوجها قد صلح حاله فعاشت معه فترة من الوقت وهما على أتم وفاق .

كثر تودد القسيس الى المركيزة فكان يحدثها عن نفسه كثيرا ويفخر بأن نفوذه على أخيه لا حد له وانه لولاه لما عاد المركيز الى حظيرة الزوجية وان شقيقه لايستطيع أن يخالف له امرا .

لم تدرك المركيزة مايقصده القسيس من كل هذا الحديث ولكنها شكرته على النصيحة التى أسداها لزوجها وكان حديثها معه يشوبه فتور وبرودة لم يروقا فى نظر القسيس العاشق ولم يدرك أن افساد هذه السيدة الصالحة من الأمور البعيدة المنال .

ولكن ذلك لم يقلل من عزمه أو يثبط من همته فقد احب المركيزة حبا جنونيا واشتهى أن تكون عشيقته بأى ثمن ولو ركب فى سبيل ذلك

الصعب من الأمور . ففى أحد الأيام دعيت المركيزة الى حفلة صيد على عادة أعيان الريف وقتذاك عند صديقة لها. فذهب فى أثرهادون أن يكون قد دعاه أحد حتى دهشت لذلك صاحبة الدعوة ولكن مركز القسيس الدينى كان يجعله يقـــابل بالترحاب أينما حل .. فهو رجل الله وفى حضوره بركة .

خرجت السيدات الى الحقول لمطاردة الغزلان وخرجت معهن المركيزة فتبعها وعرض أن يكون رفيقها فى الصيد،وكان فى دخيلة نفسه قد دبر الأمر اذ كانت فرصة لا تعوض للحديث معها على انفراد مدة طويلة دون رقيب يخشاه وقبلت المركيزة صحبته ولكن على مضض .

وما كاد ينفرد بها بعيدا عن القوم حتى صارحها بهواه وبأنها ملكت عليه جميع مشاعره فأصبح لا يرى أمامه سواها ولا يعيش الا لها . وما أن سمعت المركيزة هذا الحديث الرقيع الصادر من رجل من رجال الدين حتى أصابها الذهول والارتباك اذ كان هذا آخر ماتفكر فيه.. لم تعرف ماذا تقول ولكن وجهها أحمر غضبا وقابلت هذا التصريح البذىء الذى جاء على لسان القسيس بالاحتقار والازدراء فقالت :

« يا سيدى القسيس .. لعلك تدرك تماما ما تشعر به سيدة مثلى عندما تسمع هذا الكلام من رجل دين مثلك مهمته فى هذه الحياة هو هداية الناس لا افساد أخلاقهم وهذا الرجل واسفاه الشقيق لزوجى فرجائى اليك أن تسائل نفسك ما هو الرد الذى أستطيع أن أقوله بعد تصريحك هذا وبذلك تكون قد أنقذتنى من حرج شديد » .

أصاب هذا الرد الرصين كبرياء القسيس فى الصميم ولكنه لم يتقهقر فقد كان عنيدا وصفيقا فأجابها ببرود شديد .

ـ تعلمين يا سيدتى أن نفوذى على زوجك لا يعادله نفوذ فسعادتك فى يدى ان شئت جعلت منك أتعس امرأة فى الوجود فان من الهين على أن أوغر صدر زوجك عليك ولن تستطيع مثلك الوقـوف أمامى ولذلك فأنا أنصح لك بالا تتخذى أى موقف عدائى ضـدى وبذلك تكون أيامك المقبلة كلها هناء وسعادة والا فالويل لك ولقد أعذر من انذر .

ردت عليه المركيزة فقالت :

ـ اذا كنت حقا تحبنى يا سيدى فالأجدر بك أن تحترمنى أيضـا ولك أن تعلم علم اليقين أن التهديد لا يجدى معى نفعا ولن يجعلنى أحيد قيد أنملة عن الفضيلة التى ربيت فيها ونشأت عليها والتى لن اتخلى عنها فى يوم من أيام حياتى .

ثم رمت القسيس بنظرة ازدراء واردفت قائلة :

ــ لو كنت ضعيفة الخلق الى هذا الحد كما يصور لك ذهنك السقيم فانك آخر شخص أفكر فى أن أمارس معه هذا الضعف !!

اكفهر وجه القسيس بعد سماعه هذه الكلمات ولكنه لم ينبس ببنت شفة بل أدار عنان جواده الى ناحية أخرى فى الحقل وانصرف يعدو به وهو مغيظ أشد الغيظ وظل طوال اليوم الذى قضاه الضيوف فى الصيد متجهم الوجه بعد أن كان قبل ذلك منبسط الأسارير ولم يدرك أحد من الحاضرين عند جلوسهم الى مائدة العشاء سر هذا التغير الذى طرأ على رجل الدين سوى المركيزة وحدها .. وعلى كل حال قد كان سرور جميع المدعوين كبيرا عندما انصرف القسيس بعد العشاء مباشرة وترك الدار وعاد الى قصر افنيون محل اقامته مع أخيه .

كانت اللطمة التى وجهتها المركيزة الى القسيس قد مست كبرياءه فى الصميم ، فظل أياما وهو فى حالة تدعو الى الرثاء ولكنه جدد من عزيمته بعد ذلك وعاد الى صلفه وعناده .. وابتدأ يحاول من جديد التقرب الى المركيزة عله يظفر منها بما يريد .

ظهر فى الميدان بعد ذلك الأخ الثالث للمركيز الملقب «بالفارس» وكانت علاقة المركيزة به حسنة اذ لم تلاحظ عليه مايشينه أو ينقص من قدره فكانت لاتمانع فى صحبته وغالبا ماتجلس للحديث معه فى مختلف شئون الحياة .

اخذت الغيرة تنهش قلب القسيس اذ ظن بأخيه سوءا وصور له خياله ان المركيزة ــ وهى كغيرها من النساء ــ قد وقعت فى غرام اخيه .. ولكنه ابتسم ابتسامة صفراء اذ انه يستطيع ان يطوى هذا الأخ الضعيف بين أصابعه فأخذ يتجسس عليهما ولكن ظنونه لم يؤيدها دليل اذ لم يكن بين المركيزة والفارس سوى صداقة بريئة .

وحتى هذه الصداقة البريئة كانت تحز فى نفس القسيس .. عز عليه أن يحوز هذا الفارس الضعيف الذى لا حول له ولا قوة بصداقة المركيزة بينما يعجز هو عن ان يظفر منها بكلمة طيبة فانفرد به فى يوم من الأيام وحدثه قائلا :

ــ اننى أعلم يا اخى انك مغرم بالمركيزة وقد يدهشك أن تعلم اننى مثلك أيضا مغرم بها وأحبها حبا قويا ملك على جميع مشاعرى ولكنى على استعداد لأن أدفن فى قلبى هذا الغرام العميق واخلى لكما الجو

لو تمكنت انت من الفوز بقلبها . ولكن إذا اخفق مسعاك فاني أدعوك الى ترك الميدان لي ودعني أجرب حظي ولا حاجة بنا الى الخصام في هذا الشأن .

ولعل ما كان يقصده القسيس الماكر من هذا الحديث مع أخيه هو ان يحمسه على أن يزيد من تقوبه ووده نحو المركيز ويجاهرها بغرامه وينتهزالفرصة فيوقع بين الفارس والمركيزة من جهة وبين زوجها من جهة اخرى .

وكانت المركيزة في احدى جلساتها مع الفارس قد أفضت اليه بالحديث الذي جرى بينهما في حفلة الصيد فلم يكن يجهل اذن شعور القسيس نحوها ولكنه كان غرا أبلها فركبه الغرور دون تفكير وظن انه من السهل الوصول الى قلبها واتخاذها عشيقة له فأخذ هو الآخر يغازلها غزلا مكشوفا . وما أن رات المركيزة ذلك حتى صدته بجفاء وقسوة واخذت تعامله ببرود وتحفظ شأنها معه كشأنها مع أخيه القسيس ..

حاول القسيس من جانبه مرة ومرات في خطب ودها ولكنها كانت ترده خائبا وفي محاولته الأخيرة معها تقدم اليها وهي تسير في حديقة القصر وقال لها :

ـ لماذا تريدين ياسيدتي أن نكون دائما على خلاف .. هل تريدين ان اشهرها حربا عليك ؟ الم يخطر ببالك ان مصلحتك هي أن تكوني على وفاق تام معي ؟

استمعت اليه المركيزة ولم ترد بشيء بل سارت في طريقها دون أن تتنازل بالنظر الى القسيس .

وعندئذ تحول هذا الغرام الملتهب الى كراهية شديدة لا حد لها ، وعزم القسيس على الانتقام من المركيزة أشنع انتقام فأسر الى زوجها انه كان مخطئا عندما ظن أن المركيزة طاهرة الذيل وانه يأسف لوصفه لها في يوم من الأيام انها مثال الفضيلة والعفة اذ انه شاهدها بعيني رأسه تداعب شابا ماجنا مداعبة جاوزت كل حد .

أثار هذا الحديث حفيظة المركيز ضد زوجته فذهب فورا الى مخدعها ووجه اليها أقبح الالفاظ واتهمها بالتفريط في عرضها وشرفها ولكنها لم ترد عليه ولم تهتم بأن تروى له ما حصل من أخيه القسيس وكيف راودها عن نفسها بكل الطرق ـ واخذت العلاقات بعد ذلك تزداد سوءا بينها وبينه .

فى هذه الآونة توفى أحد أقارب المركيزة تاركا لها ثروة مالية ضخمة وقد أغرى بريق الذهب الأخوة الثلاثة فانحصر تفكيرهم جميعاعلى العمل على الاستيلاء على هذه الثروة ولكن المركيزة فطنت الى ذلك وخشيت ان يعملوا على التخلص منها خصوصا وانهـــا فى احد الأيام اصيبت بأعراض تسمم عقب اكلها « قشدة مطهية » واتضح انها كانت تحوى كمية من الزرنيخ ولم يعرف من الذى قام بوضعه فى القشـــدة ولحسن حظ المركيزة كان قد غاب عن ذهن من دس السم ان القشـــدة تحوى عنصرا مضادا للزرنيخ وبذلك قد فسد مفعوله .

ولم يغب عن ذهن المركيزة بأن الأخوة الثلاث لم يألوا جهدا حتى يتخلصوا منها طمعا فى ثروتها ولذلك فقد ذهبت فى أحد الأيام الى موثق العقود الرسمية وحررت وصية اوصت فيها بكل ثروتها لوالدتها ونصت فيها على أن كل وصية أخرى تظهر بعد وفاتها خلاف هـــذه الوصية تعتبر لاغيـــة ولا يعمل بها واشهدت عليهـــا رجلين من رجال الـكنيسـة .

رأى المركيز أن ينتقل وزوجته واخويه الى قصره فى «جانج» وهى ضاحية تبعد عن «افينون» مسافة تسعة عشر ميلا وذلك لتمضية فصل الشتاء هناك وكانت المركيزة لاترتاح الى الاقامة بهذا القصر لوحشتـه وكآبته ولكنها كانت مغلوبة على أمرها فتركت مسكنها فى « افينـون » كارهة بعد أن وهبت مبلغا لرجال الـكنيسة لاقامة صلاة على روحها اذ انها كانت تكاد أن تكون موقنة بأنها لن تعود الى مسكنها وهى على قيد تتخبط فى أركان الغرفة والفارس يلاحقها بطعناته الى أن خرت مغشيا بعيدا عن منزلها فى ظروف قاسية عصيبة .

وصلت العائلة الى «جانج» وكان القسيس لايفكر الا فى الانتقام من المركيزة والاستيلاء على مالها ـ حتى المركيز نفسه واخوه الفارس كانا من رأيه فى الخلاص منها بأية وسيلة ولـكنهم جميعا كانوا يجهلون كل شىء عن الوصية التى حررتها المركيزة قبل مغادرتها لمسكنها .

وبعد أيام من وصولهم الى جانج دخل القسيس الى غرفة المركيزة وسألها ان تكتب وصية توصى فيها بأموالها لزوجها فرفضت ، فغـادر الغرفة وعاد يحمل فى يده اليسرى كوبة بها شراب أسود اللون بينما شهر بيده اليمنى مسدسا فى وجهها وصاح قائلا :

ـ لابد من موتك .. فاختارى الميتة التى تشائين .. اما بالرصاص أو بالسم أو بالسيف ..

صرخت المسكينة تطلب النجدة ولكن انى لها ذلك فى منزل كل من فيه يريد لها الهلاك .. دخل الأخ الفارس الغرفة فى اعقاب اخيه فحاولت استعطافه عله يرحمها ولكنه وقف جامدا وكأنه تمثال من حجر ..

وارغمت المركيزة على شرب ما فى الكأس من شراب مزج به السم وكان القسيس يضع المسدس فوق جبينها بينما يهددها الفارس بسيفه وقد وضعه بالقرب من عنقها وكان القسيس يقول لها ساخرا :

ـ اشربى ما فى هذا الكأس من الماء المقدس ..

وما أن شربت السم حتى خارت قواها ولكنها لم تغب عن الوعى وتوسلت الى القسيس ان يبعث اليها بكاهن يكون بالقرب منها حتى تموت وهى متممة واجباتها الدينية ، فوعدها بذلك وخرج ومعه الفارس من الغرفة بعد أن ايقنا انها سوف تلفظ انفاسها الأخيرة بعد قليل .

وما أن ترك الأخوان الغرفة حتى تحاملت المركيزة على نفسها وتوجهت نحو النافذة المطلة على الحديقة محاولة الفرار منها ولحسن حظها كانت على ارتفاع قليل من الأرض فقفزت منها واسرعت تعدو فى الممشى الموصل الى باب القصر وكانت تضع اصبعها فى حلقها محاولة افراغ مافى جوفها من السم وفعلا تقايأت وخفف ذلك من آلامها كثيرا وما أن وصلت الى الطريق حتى صرخت طالبة النجدة .

وتجمع الناس حولها ينظرون اليها بذهول ودهشة وفى هذا الوقت لحق بها القسيس والفارس وأفهم القسيس الناس ان المركيزة قد اصيبت بلوثة فى عقلها ، وكانت قد ابتعدت كثيرا عن القصر ولكن القسيس ارغمها على الدخول فى أحد المنازل واجتهد فى تفريق الأهالى الذين تجمعوا على صراخها وهددهم بمسدسه صائحا انه لن يسمح اطلاقا لأحد بأن يشاهد زوجة اخيه وهى على هذه الحال المزرية .

وفى غرفة بالمنزل الذى أرغمت المركيزة على دخوله اخذت فى استعطاف الفارس ولكنه استل حسامه وطعنها به فى صدرها وكانت تتخبط فى أركان الغرفة والفارس يلاحقها بطعناته الى أن خرت مغشيا عليها وظن الفارس انها قد لفظت أنفاسها الأخيرة فخرج وأخبر القسيس الذى كان لايزال مشغولا بتفريق الناس بأنها قد ماتت وانتهى أمرها .. واراد القسيس أن يتحقق من ذلك بنفسه فدلف الى الحجرة وحاول اطلاق النار عليها من مسدسه ولكن الزناد لم ينطلق لخلل فيه وما ان شاهد الناس ذلك وراوا المركيزة ملقاة على الأرض والدماء تسيل من جروحها حتى تأكدوا ان فى الأمر جريمة فهجموا على القسيس وأخيه محاولين الفتك بهما ولكنهما تمكنا من الفرار .. وأسرعت النسوة الى

اسعاف المركيزة التى لم تكن قد فارقت الحياة بعـــد .. بينما هرع الرجال من الحاضرين الى ابلاغ المســـئولين بالأمـر وتعقب البوليس الهاربين ولـكنه لم يفز بالقبض عليهما .

ووصل المركيز د. جانج أثنــاء ذلك وتظاهر أمام الناس بالحزن الشديد على زوجته وأقسم لينتقم من اخويه بعد القبض عليهما مع انه كان شريكهما فى الخفاء .

تولى البوليس سؤال المركيزة فأفضت قبل وفاتها بروايتها كاملة واتهمت الأخوة الثلاث بمحاولة قتلها وما لبثت أن اسـلمت الروح .. وعند تشريح جثتها عثر على كمية كبيرة من الزرنيـخ فى امعائها كانت السبب المباشر فى الوفاة .

أصدر برلـان تولوز أمرا بالقبض على الأخوة الثلاثة فقبض على المركيز ، أما القسيس والفارس فلم يعثر لهما على اثر ــ وصدر الحكم حضوريا على المركيز بالسجن مدى الحياة وبمصادرة أمواله وممتلـكاته وباعدام القسيس والفارس بعد القبض عليهما بطحن عظامهما على آلة التعذيب .

ولم يرض الرأى العام عن الحكم الصـــادر ضد المركيز اذ كان يرى أنه أيضا يستحق الاعدام كشقيقيه .

وكانت العادة المتبعـــة فى ذلك العهد هو السماح للمحكوم عليهم بالسجن المؤبد بالالتحاق بالجيش الذى يحارب الأتراك فالتحق به المركيز حيث قتل فى أول موقعة حربية اشترك فيها كما قتل أيضا الفارس فى احدى المعارك وكان قد تطوع خفية فى الجيش .

أما القسيس القاتل فقد تمكن من الافلات من يد العدالة وهرب الى هولندا حيث تسمى باسم «لامارتيلير» ووقع فى غرام احدى قريبـات «الـكونت ده ليبا » حاكم مدينة «فين» الذى رفض الموافقة على زواجه من قريبته بحجة انه لايعرف عن أصله شيئا ولكن هذا الزواج تم بالرغم منه اذ كانت الفتاة خليلة للقسيس العاهر من مدة طويلة قبل أن يتقدم رسميا لطلب يدها .

ومن الغريب أن القسيس اعترف لزوجته بعد الزواج بقصته كاملة وأن اسـمه الحقيقى هو « ده جانج » فكانت المسـكينة ترتعـد فرائصها كلما نظرت اليه ولـكنها لم تفض لأحد بهذا السر الرهيب .

وقضى القسيس نحبه فى هولنـــده على أنه الســيد «لامارتيلير » الطيب القلب !!

٥ ـ محاكمة سارة متيارد قاتلة الأحداث

أهم الشخصيات :

● **سارة متيارد الكبيرة**	الفاتلتان
● **سارة متيارد الصغيرة ـ ابنة الأولى**	
● **آن واختها**	المجنى عليهما
● **المستر روكر**	أحد الأغنياء بالمدينة وعشيق سارة الصغيرة
● **السير جون فيلدنج**	قاضى التحقيق

الزمن : ١٧٦٥

اجتاحت مدينة لندن فى أواسط القرن الثامن عشر موجة كبيرة من جرائم استعمال القسوة وسوء معاملة الصغار الذين يعملون فى مختلف الحرف وكان يوقع على المتهمين فى مثل هذه الجرائم عقوبات شديدة تصل فى بعض الأحيان الى الأشغال الشاقة .

ففى عام ١٧٦٥ عرض على محكمة الجنايات قضية من هذا النوع نسب فيها الى احدى القابلات المدعوة اليزابيث براونتج تهمة استعمال القسوة مع طفلة يتيمة كانت فى رعايتها حتى أدى ذلك الى وفاتها وقضى على القابلة بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وبعد مرور عام من الحكم فى القضية روع أهالى مدينة لندن بقضية أخرى اتهمت فيها سارة متيارد وابنتها سارة الصغيرة باستعمال القسوة مع فتاة من العاملات بمحلهما تدعى (آن) وقد أدى ذلك الى وفاتها كما أنهما ارتكبتا أيضا جريمة قتل (آن) المذكورة لاخفاء معالم الجريمة الأولى .

كانت المتهمة سارة متيارد صاحبة محل حياكة ملابس سيدات بميدان هانوفر بلندن وكانت تدير هذا المحل مع ابنتها سارة الصغيرة يساعدهما سبع عاملات وكلهن تتراوح اعمارهن بين العاشرة والرابعة عشرة ومن بينهن المجنى عليها (آن تايلور) وأختها التى تصغرها سنا .

كانت (آن) صبية تبلغ من العمر حوالى اثنتا عشرة سنة يتيمة الأبوين وقد ألحقها عمدة المدينة مع أختها بمحل المتهمة ونظرا لضعف صحتها كانت تعجز عن مجاراة زميلاتها فى عملهن اليومى الأمر الذى أثار عليها صاحبة المحل فكانت تسىء معاملتها الى حد كبير وكانت الصغيرة المسكينة تقاسى من العذاب ألوانا حتى اضطرت الى الفرار لأنها لم تستطع احتمال قسوة سيدتها وكان هذا الفعل الذى ارتكبته يعتبر من أخطر الأمور فى نظر المسئولين اذ أن عمدة المدينة كان مسئولا عن هؤلاء الصغار ولذلك نشط رجال الأمن فى البحث عن الهاربة وتمكنوا من اعادتها الى سيدتها دون أن يهتموا بالبحث عن السبب الذى أدى الى فرارها .

حقدت سارة على الصغيرة (آن) حقدا شديدا وازدادت معاملتها لها سوءا فكانت لاتعطيها طول النهار من الغذاء سوى كسرة جافة من الخبز وكوب ماء الأمر الذى جعل الفتاة تفكر مرة أخرى فى الهرب ولجأت الى

صاحب معمل «البان» يجاورمسكن المتهمة سارةولكنه رفض أنيساعدها فعادت (آن) مرة ثانية الى المحل.

ارادت سارة الانتقام من «آن» جزاء عصيانها فحبستها فى غرفة بعد أن أوثقتها بالحبال واحضرت عصا غليظة ظلت تهوى بهـا على جسم الفتاة وكلما طلبت منها الفتاة الرحمة ازدادت فى قسـوتها وكانت هى وابنتها سارة الصغيرة تتبادلان ضرب «آن» وكلما تعبتاحداهما سلمت العصـا للاخرى .

وظلت الصغيرة على هذا المنوال لمدة ثلاثة أيام كاملة وسارة تذيقها من العذاب الوانا حتى شحب لونها واشرفت على الهلاك وفعلا قضت نحبهـا فى اليوم الرابع وظنت العاملات حينما لم يسمعن صوت «آن» انه مغمى عليها فأسرعت احداهن الى سيدتها وأخبرتها أنها لاتسمع « لآن » صوتا. ذهبت سارة الى الغرفة ونادت على «آن» فلم تجاوبها فركلتها بقـدمها ولما لم تحرك ساكنا تأكدت أنها ماتت ولكنها خشيت وجود العاملةبجوارها فأوهمتها انها مغمى عليها وأمرتها باحضار بعض الأملاح المنعشة قربتها من انف آن متظاهرة بأنها تحاول اعادتها الى وعيها ثم أمرت العـاملة بالانصراف .

هرعت سارة وابنتها وتعاونتا معا فى غفلة من الفتيات العـاملات ونقلتا الجثة الى الدور الأرضى من المسكن فى غرفة مجاورة للحـديقة وأوهمتا العاملات بأن «آن» لاتزال فى حالة اغماء وكانت سارة الصغيرة تحمل وقت الغذاء صفحة من الطعام وتتظاهر أمام العاملات بأنها غـذاء «آن» ستوصله لها فى غرفتها ــ وفى اليوم التالى وحتى تبعد سارة كل مظنة نحوها تركت باب الغرفة التى كانت بها آن قبل وفاتها مفتـوحا وطلبت الى احدى العاملات أن تنادى«آن»حتى تشاطرهن طعام الغذاء قائلة « ان ماعوقبت به فيه الكفاية لردعهـا عن الفرار فى المستقبل »

ذهبت الفتاة الى غرفة «آن» ولكنها بطبيعة الحال لم تجد لها أثرا اذ كانت جثتها مخبأة فى الغرفة التى بالحديقة فعادت الى سـيدتها وأخبرتها بذلك وعندئذ اشاعت سارة بأن «آن» قد ركنت الى الفرار مرة أخـرى .

كانت أخت «آن» التى تصغرها بعامين تشك كثيرا فى الأمر ولا تـكاد تصدق أن أختها قد فرت اذ كانت مهشمة الأعضاء أثر الاعتداء الوحشى الذى وقع عليها ثلاثة أيام متتالية وتحدثت الى زميلاتها فى هذا الشـأن وطال حديثهن فيه حتى وصل الى آذان «سارة» فخشيت أن تكتشف الفتيات مقتل زميلتهن وعقدت العزم على التخلص من أخت «آن» هى

الأخرى بأية طريقة فاستدعتها فى المساء الى غرفتها فى غفلة من باقى الفتيات ووضعت وسادة فوق فمها وقامت بخنقها .

نقلت الجثة بعد ذلك بمساعدة ابنتها الى الغرفة التى بها جثمان اختها وهي هادئة البال ، غير أن هذا الهدوء لم يستمر طويلا بعد أن مضى على الجثتين ثلاثة أيام وأصبح من يمر أمام الغرفة التى بالحديقة يشم رائحة كريهة ولذلك فقد صحبت ابنتها فى المساء عندما هجع الفتيات الى فراشهن ودخلتا الى الغرفة وأخذتا فى تقطيع أوصال الجثتين الى قطع صغيرة ولفها في ورق سميك وقد حاولت سارة أن تحرق احدى هذه القطع كتجربة لحرق الباقي ولكنها عدلت عن ذلك عندما تصاعد من حريق أول قطعة دخان له رائحة اللحم المشوى .

وما أن انتهت هذه الخطوة الأولى حتى حملت سارة وابنتها هذه القطع المتعددة من اللحم البشرى الى خارج المنزل حيث القيتا بها فى المجارى الرئيسية للحى الذى تقطنانه وقفلتا عائدتين الى المنزل وكأن شيئا لم يقع .

وفى اليوم التالى لاحظ الحارس المعين على المجارى أن عائقا ما يعوق تصريف الفضلات وبالبحث عثر على بعض قطع الجثتين فأبلغ الأمر لذوى الشأن وتولى البوليس التحقيق ولم يكن دقيقا الدقة الكافية لكشف خبيئة الموضوع وانتهى الى التقرير بأنه يرجع كثيرا أن قطع اللحم الآدمية التى عثر عليها بالمجارى قد ألقى بها أحد الأطباء الذين يعملون فى التشريح .

أما اختفاء آن وشقيقتها فقد اعتقد الجميع بأنهما هربتا الى مكان مجهول ولم يسفر التحقيق عن العثور عليهما ونسى الناس أمرهما وانقضى على حادث قتلهما بهذه الطريقة الوحشية أربع سنوات .

شاء القدر بعد هذه المدة الطويلة أن يقوم بين سارة الكبيرة وبين سارة الصغيرة أى بين الأم وابنتها خلاف شديد مصدره قسوة الأم على الابنة ، رغم أن هذه الأخيرة كانت قد نمت وترعرعت ولكن أمها كانت تعاملها بنفس القسوة والشدة التى تعامل بها عاملات محلها ولما ضاقت الابنة ذرعا بهذه المعاملة هددت والدتها بالانتحار ولكنها لم تأبه لها — ولما لم يجد ذلك معها نفعا لمحت لها بأنها سوف تنيط اللثام عن حقيقة ما حصل للصغيرة «آن» واختها ، وعندئذ فقط خافت الأم واخذت تحسن معاملة الابنة حتى انها سمحت لها بأن تشتغل « مشرفة » طرف احد اثرياء الحى يدعى «روكر» وتوطدت العلاقة بينه وبينها حتى أصبحت سارة الصغيرة عشيقته فى الخفاء .

علمت سارة الكبيرة بذلك فذهبت الى منزل « روكر » مهددة ولكنه طردها اشنع طردة فأخذت تعيد الكرة كل يوم فتذهب الى هناك وتنعت ابنتها بأقبح الألفاظ الى أن كان فى أحد الأيام حيث ذهبت الأم الى المنزل كعادتها وأخذت فى الصياح وسب ابنتها وكان «روكر» حاضرا هذه المشادة فلفت نظره بصفة خاصة أنه فى اثناء الشجار كانت البنت تنعت امها بأنها قاتلة وشاربة دماء الأمر الذى حدا به الى التفكير طويلا فى هذه الألفاظ التى قد ينطوى تحتها معان كبيرة أو سر خطير !!

ومازال يستدرج سارة الصغيرة فى اثناء خلوته بها حتى أدلت اليه وهى تبكى بكاء مرا ما كان من امرها وأمر أمها مع آن واختها ثم توسلت اليه الا يفشى هذا السر الرهيب الذى سيكون فيه هلاكها وأمها معها .

ولكن « روكر » وكان قد قضى لبانته من سارة الصغيرة وجد انها فرصة ذهبية للتخلص منها فأوهمها بأنه قد استجاب لرجائها وفى الوقت نفسه ذهب الى المختصين حيث أفضى اليهم بما سمعه من سارة الصغيرة .

القى القبض على سارة وابنتها واستدعى « روكر » لأداء الشهادة امام السير جون فلدنج فأدلى بتفاصيل ما سمعه من سارة الصغيرة وماان سئلت هذه الأخيرة امام المحقق حتى اعترفت بكل التفاصيل التى دونت فى محاضر التحقيق فى هذه القضية على الوجه الذى شرحناه كما اعترفت سارة الكبيرة أيضا .

ولم يكن هناك مناص وقد قام الدليل وثبتت التهمة بطريق قاطع على المتهمتين من تقديمهما الى محكمة الجنايات وفى اثناء نظر الدعوة ادعت سارة الصغيرة انها حامل ولكن الفحص الطبى اثبت كذب هذا الادعاء فقضت المحكمة فى ١٩ من يولية سنة ١٧٦٨ باعدامهما شنقا جزاء لهما .

وفى يوم التنفيذ اغمى على سارة الكبيرة ونفذ فيها الحكم وهى فاقدة الصواب أما سارة الصغيرة فكانت تبكى بكاء مرا .

وبقيت الجثتان معلقتان فى ساحة الاعدام ثلاثة أيام ثم سلمتا الى الأطباء لاجراء تجارب التشريح عليهما كما كانت العادة فى ذلك العصر .



« جون بلنجهام القاتل »

٦ ـ مصرع الرابت أو نواربل سبنسر برسفال رئيس وزارة انجلترا بيد مخبول

أهم الشخصيات :

الرايت أونورابل سير سبنسر برسفال رئيس وزراء انجلترا عام١٨١١

- **جون بلنجهام** — القاتل
- **الجنرال جاسكون**
- **اللورد اسبورن** — شهود الحادث
- **المستر سمث**
- **اللورد مانسفيلد**
- **اللورد جراهام** — اعضاء المحكمة
- **السير ناش جروز**

- **الزمن ـ سنة ١٨١١**

فى مساء يوم ١١ من مايو سنة ١٨١١ كان الرابت اونورابل سبنسر برسفال رئيس وزراء انجلترا ووزير المالية وقتئذ فى طريقه الى مجلس العموم وما كاد يطأ بقدميه مدخل المجلس حتى فوجىء بطلق نارى أصابه فى جنبه الأيسر فترنح وسقط على الأرض وهو يصيح « لقد قتلت » وكان يسير على بعدخطوات قليلة منه اللورد اسبورن عضـو مجلس اللوردات والمستر و. سميث عضو النواب فأسرعا الى نجدته كما أسرع اليه عدد كبيرمن أعضاءالمجلسين الذين سمعوا صوت الطلق النارى وأخذوا فى اسعافه بشتى الوسائل بعد ان نقل الى غرفة رئيس المجلس وكان هذا الحـادث قد وقع بسرعة مذهلة وقد استولت الدهشة على الجميع فلم يفكر أحدهم فى البحث عمن اطلق النار الى أن صاح أحد الحاضرين قائلا « من النذل الذى فعل هذا » عندئذ تقدم شخص مجهول لم يشاهده أحد من قبـل ذلك بردهات المجلس وقال بصوت هادىء رزين « انا التعس الذى أطلقت النار » وسلم الى الجمع المحتشد مسدسه وهو رابط الجأش .

كان جرح برسفال مميتا وذهبت محاولات الدكتور « لين » الـذى استدعى فورا لاسعافه سدى اذ ان الرصاصة كانت قد اخترقت منطقة القلب .

حضر على الفور ثلاثة من المحققين وبدىء التحقيق فى الجريمـة فسئل المتهم عن اسمه فقال انه يدعى « جون بلنجهام » سئل عن السبب فى ارتكابه لهذه الجريمة فأجاب بأنها مسألة خاصة فقد ظلمتنى حكومة جلالة الملك ظلما شنيعا فلم أجد بدا من أن اقتص لنفسى من هذا الظلم فى شخص رئيس الوزراء .

فتش المتهم فعثر معه على مسدس آخر وعلى حزمة من الاوراق على هيئة خطابات ملئت بعبارات غير مفهومة .

وبدىء بعد هذا الاعتراف الواضح بسؤال الشهود فأجمعوا على انهم فوجئوا بسماع الطلق النارى وشاهدوا المتهم بعد ذلك على مقربة منهـم وانه اعترف أمامهم باطلاقه النار على المجنى عليه .

كان الجنرال جاسكون عضو مجلس النواب عن دائرة ليفربول أحـد شهود الحادث فقال أن المتهم من بلدته وقد شاهده فى الأيام السـابقة

على الحادث يتمشى فى ردهات المجلس ولم يكن هذا الأمر يدعـــو الى الاستغراب اذ ان ابواب المجلس مفتوحة للجميع وزاد على ذلك بأن المتهم كان قد تقدم بعدد من العرائض يقول فيها ان الحـــكومة قد الحقت به اضرارا كبيرة وان هذه العرائض قد فحصت وتبين انها على غيراساس ولا نصيب لها من الصحة وانها من نسج خيال مقدمها .

اعاد المحقق سؤال المتهم بالتفصيل عله يتوصل الى السر الذى حدا به الى ارتكاب فعلته فأجاب فى وضوح بأنه قتل رئيس الوزراء وان الدافع على هذا القتل هو الانتقام من الحكومة لأنها أهملت مكافأتهعن الخدمات الجليلة التى اداها لها بناء على طلبها اثناء وجوده فى روسيا وانه بعد ان عاد من روسيا تقدم بشكاوى كثيرة الى برسفال وغيره من المسئولين ولكن احدا لم ينصفه وقد ذهب الى البوليس فى يوم ما وطلب من رجـــاله ان يدونوا شكواه فى محضر رسمى ولكنهم سخروا منه وقال له احدهم « اذهب وافعل أسوأ ماتستطيع فعله » وهاهو قد استجاب لأمرالبوليس اذ صح عزمه على قتل رئيس الوزراء فتدبر الأمر وفكر فيه وأخذ يعـد العدة لتنفيذ جريمته فاشترى مسدسين لهذا الغرض وظل يرقب حضور المجنى عليه الى مجلس العموم حتى اذا ظفر به فى يوم ارتكابه للجريمة ورآه قادما يمشى على مهل أطلق عليه النار فأرداه قتيلا لساعته . .

عجز المتهم رغم مابذله المحققون معه من جهد أن يفصح لهم عن ماهية الخدماتالتى اداها للدولة وقال انه سوف يقوم بشرح كلهذا امامالمحكمة وهو على يقين من انه سيقنع المحلفين ببراءته وانه كان على حـق فيمـا فعـل .

وجهت الى المتهم تهمة القتل العمد مع ســـبق الاصرار وسيق الى السجن انتظارا لمحاكمته ومن الغريب انه لم يأبه للاتهام فى قليل أو كثير بل كان فى الأيام القليلة التى قضاها فى السجن رابط الجأش هـادىء الأعصاب فكان يتناول طعامه بشهية غير عادية بل كان فى كثير منالأحيان يطلب الى القائمين باطعامه احضار بعض الأطعمة التى يحبها وارسل الى مديرة منزله خطابا كلفها فيه بأن ترسل اليه جميع ثيابه الجـديدة وكل ما يحتاج اليه من أدوات الزينة حتى يظهر اثناء المحاكمة بالمظهراللائق به والا تنسى ارسال كتاب الصلاة مع هذه الأشياء اذ أن أمور الدنيا ـ على حد قوله فى الخطاب ـ لايجب أن تلهى الانسان عن التفكير فى الآخرة .

قدم المتهم لمحكمة الجنايات فى يوم الجمعة ١٥ من مايو سنة ١٨١١ اى بعد ارتكاب الحادث بنحو أربعة ايام فقط وكانت المحكمة برئاســـة

اللورد مانسفيلد وعضوية البارون جراهام والسير ناش جروز ..وعندما بدئت الجلسة انحنى المتهم باحترام كبير أمام قضاته وامام المحلفين وكان مرتديا افخر ثيابه وعندما سأله رئيس الجلسة عن جريمته أجاب بأنه «غير مذنب» .

واعقب هذه الاجابة بمرافعة طويلة غير مفهومة كانت تدور كلها حول المجهود الكبير الذى بذله فى روسيا اثناء وجوده بها بناءعلى مهمة كلفته الحكومة بأدائها وانه بعد عودته واتمامه لهذه المهمة على الوجه المرضى اغفلت الحكومة أمر مكافأته وأنه ظل فى انتظار أن تنصفه الحكومة ثمانى سنوات كاملة بدون فائدة وهو يرى أنه غير مذنب لأنه قد اقتص لنفسه.

وقد بذلت المحكمة اقصى جهدها فى أن تجعل المتهم يفصح عن المهمة التى كلف بها وفى أى وقت كان هذا التكليف ولكنها لم تظفر منه بشىء رغم افساحها صدرها له لمدة يومين كاملين ولم تكن اجاباته على الأسئلة التى وجهت اليه سوى هذيان فى هذيان .

ومن المدهش أن المتهم فى معرض دفاعه قال ان الدفاع عنى سوف يدفع التهمة بأننى مجنون وغير مسئول عن اعمالى ولكن أهيب بسلطة الاتهام أن تعارض فى هذا الدفع لأنه على غير أساس !!

وكان الدفاع قد ابدى فعلا هذا الدفع بعدم مسئولية المتهم لفقدان قواه العقلية وقد قضت المحكمة على جون بلنجهام المتهم بالاعدام شنقا وجاء فى تلخيص رئيس المحكمة للقضية « ان المحكمة اقتنعت تمام الاقتناع بأن المتهم قادر على التمييز بين فعل الخير وفعل الشر ولذلك فهو مسئول عما جنت يداه » .

استمع المتهم الى الحكم وهو باسم الثغر منبسط الأسارير ونفذ فيه الحكم فى يوم الاثنين الموافق ١٨ من مايو سنة ١٨١١ .



٧ ـ الكابتن جيمس هند

تحدثنا فى فصل سابق من هذا الكتاب عن « ديك ترين » وكيف رفع من شأنه أحد كبار كتاب القصة (١) حتى ارتفع الى سجل الخالدين على اعتبار انه كان نصيرا للضعفاء والمظلومين يأخذ من الاغنياء ويعطى الفقراء مع انه فى الواقع لم يكن الا لصا وضيعا وقاتلا وانتهى به الأمر الى القبض عليه ومحاكمته واعدامه .

وحديثنا الآن عن الكابتن « جيمس هند » فقد كان هو أيضا قاطع طريق ولكنه يختلف عن « ديك ترين » فى معاملته لضحاياه اذ كان رقيقا معهم كل الرقة حتى تحسبه انه نبيل العنصر يتحلى بأخلاق السادة والكبراء ولا يعلم على وجه التحديد من الذى خلع على جيمس هند لقب «كابتن» اللهم الا اذا كان هو الذى أعطى نفسه هذه الرتبة .

ولد جيمس بمدينة اكسفورد شاير وكان الابن الوحيد لصانع سروج وعنى والده بتعليمه فى صباه فألحقه بالمدارس وكان بعد الظهر يتمرن على البيع والشراء بمحل جزارة .

ظل جيمس على هذه الحال مدة طويلة ولكنه كان ملولا بعمله فقد كان صاحب المحل عابس الوجه على الدوام بطىء الحركة ، بليدا بينما كان هو على النقيض من ذلك فلا تراه الا مبتسما ميالا للمداعبة والمزاح خفيف الظل وسيما فكأنه صورة معكوسة لمعلمه فلا عجب اذا لم تتفق ميولهما ولا عجب أيضا اذا وجدناه يهجر محل الجزارة الى غير رجعة فذهب الى والدته فى أحد الأيام وطلب منها بعض المال ورحل عن البلدة متوجها الى لندن للبحث عن عمل .

كان ذلك فى أواسط القرن السابع عشر ولم يكن من السهل أن يوفق بسرعة الى عمل ولما كان معه بعض المال فلم يجد بأسا من الترفيه عن نفسه انتظارا للوصول الى ما يريد .

وفى احد الليالى كان يجالس صبية من بنات الهوى فى احدى الحانات وداهم البوليس الحانة والقى القبض على هذه الصبية بتهمة ارتكابها جريمة سرقة خمسة جنيهات وقبض على جيمس معها .

لم يكن لجيمس يد فى هذه السرقة ولكنه أمضى ليلته فى السجن انتظارا لسؤاله وفى السجن تعرف على « توماس الان » قاطع الطريق المشهور .

---

(١) هو القصصى الانجليزى المعروف « اينزوورت » .

افرج عنه فى الصباح حيث لم تثبت ادانته واشتراكه مع الصبية فى السرقة وتصادف ان افرج ايضـــا فى نفس الوقت عن توماس الان فخرجا معا ..

دخـلا الى مطعم حيث جلسا يتحـدثان وهما يحتسيان الشراب عن متاعب الحياة ومشاكلها وعرض عليه « الان » ان يشترك معه فى سلب نقود المارة ليلا فى الطرقات فهى « مهنة » تدر على صاحبها مالا وفيرا دون عناء كبير وسرعان ما قبل جيمس هذا العرض .

كان جيمس حديث العهد باللصوصية ولكنه لم تكن تنقصه الشجاعة الكافية ــ حتى انه فى أول مغامرة له مع زميله طلب منه ان يسمح له بأن يقوم « بالعملية » وحده على أن يراقبه عن بعد اثناء ذلك وكانا فى هذا الوقت يكمنان ليلا فى الطريق انتظارا لأول قادم .

وحوالى منتصف الليل اقبل رجلان على جواديهما فتقدم اليهما جيمس بقدم ثابتة وطلب منهما الوقوف وتسليمه ما معهما من نقود .

سلم احد الرجلين نقوده اليه وكانت عبارة عن خمسة عشر جنيهـــا ــ اخذ جيمس فى عدها وهو رابط الجاش ثم اعاد الى الرجل جنيها منها قائلا له هذا المبلغ الزهيد يا سيدى قد تحتاج اليه فى رحلتك وترك الرجل الذى كان فى حالة دهشة واستغراب بينما ضحك « الان » الذى كان يراقب جيمس عن بعد معجبا بالمهارة التى اتم بها « عمليته » الأولى واقسم اللصان فى هذه الليلة على أن يظلا فى العمل معا الى الابد .

كان ذلك فى الوقت الذى نفذ فيه حكم الاعدام فى الملك شارل الأول ملك انجلترا وكان النزاع على اشده بين الملك وبين البرلمان ، وكان جيمس منـــذ نشـــــأته من المتحمسين للملك والمنـــاصرين لقضـــيته ومن الغريب أن ميول جيمس السياسية كانت تتفق تمام الاتفاق مع ميول زميله « الان » فأقسما معا ان ينتقما انتقاما شديدا من كل شخص يقابلانه ويعرفان عنه أنه من المناهضين لقضية « آل ستيوارت » العائلة الحاكمة وقتئذ .

ومن غريب الصدف أنه لم يمضى طويلا على هذا القسم الا وتقابل اللصان وجها لوجه مع أوليفر كرومويل رأس المناهضين للعائلة المالكة والحاكم بأمره فى انجلترا وقتئذ !!

كان الوقت ليلا والظلام حالكا وقد كمن اللصان فى الطريق ــ وبعد لحظات اقبلت عربة المسافرين وسرعان ما أوقفاها وتقدم الان الى الحوذى وقد شهر سلاحه فى وجهه بينما توجه جيمس الى نافذة العربة وانحنى

باحترام كبير الى المسافرين وحياهم تحية مؤدبة ثم طلب منهم بكل هدوء تسليم ما معهم من النقود فامتثلوا لأمره وسلموه نقودهم .

وفى هذه الأثناء وفى هدوء الليل وسكونه سمع جيمس صوت جياد قادمة فى الطريق وما أن تلفت خلفه حتى شاهد «أوليفر كرومويل» على راس عدد من الفرسان مقبلون نحوهم .·. وبسرعة الارنب المذعور لوى عنان جواده الى ناحية أخرى من الطريق ولاذ بالفرار وتعقبه فارسان من رجال كرومويل ولكنهمـــا لم يدركاه فقد كان يمتطى جوادا سريع العدو .

أما زميله « الان » فقد وقع أسيرا فى يد كرومويل وفرسانه وكان مصيره كمصير غيره من قطاع الطرق فى ذلك الوقت فقد شنق لساعته وظلت جثته معلقة فوق المشنقة حتى يكون عظة لغيره .

كان لهذا الحادث تأثيرا كبير على جيمس فعول على أن يحتاط لنفسه ولكنه لم يفكر اطلاقا فى اعتزال اللصوصية وقد كلفه حادث فراره من براثن كرومويل جواده الثمين فقد ظل يعدو به أثناء هروبه اميالا واميالا سقط بعدها الجواد اعياء وما لبث أن نفق .

لم يكن مع جيمس من المال ما يسمح له بشراء جواد آخر فعزم على الاستيلاء على جواد بأية طريقة وفى أحد الأيام شاهد جوادا أصيلا ربطه صاحبه بشجرة وقد تدلى من سرجه جرابان من الجلد بكل منها مسدس فتقدم نحو الجواد محاولا اخذه وكان صاحبه يقف على الجانب الآخر من الطريق فصاح فى وجهه قائلا :

ــ دع جوادى وشأنه .

فأجابه جيمس بهدوء :

ــ هو ليس جوادك ياسيدى بل جوادى انا .

وحل رباط الجواد بهدوء بعد ان هدد صاحبه باطلاق النار عليه اذا حاول الاقتراب منه ثم امتطى صهوته وأسرع يعدو به هاربا .

ارتكب جيمس بعد ذلك سرقات كثيرة حتى انه اشتهر وقتئذ بانه اكبر قاطع للطريق الموصل من لندن الى شمال انجلترا واخذ النـــاس يتحدثون عنه وكان لا يذكر اسمه الا مشفوعا بكلمة «كابتن» .

ذكرنا فيما تقدم أن «جيمس هند» كان من أشد المناصرين للنظـام الملكى فى هذا الوقت ومن الحاقدين على الذين شاركوا أعـداء الملك شارل الأول فى الثورة ضده ومن طريف مغامراته ماوقع بينـــه وبين

القاضى «هيوبيترز» أحد اعضاء المحكمة العليـــا التى قضت على الملك شارل الأول بالاعدام والذى عين بعد ذلك أسقفا بالـكنيسة .

قابل جيمس هذا القاضى ليلا وهو فى طريقه الى لنـدن فاستوقفه وشهر فى وجهه سلاحه ولـكن القـــاضى كان رابط الجاش على عكس ماكان ينتظره جيمس ، فنظر اليه بازدراء واخذ يوجه اليـه مقتطفات الانجيل فقال له : « مكتوب فى الانجيل بأن الرب ينهى عن السرقة » ومذكور على لسان النبى سليمان انه نهى عنها أيضا فقد حذر الناس من سرقة الفقير .

اجاب جيمس بعبارات اخرى من الانجيل اذ قال « اذا كنت حقيقة تتبع ما ذكر فى هذا الكتاب السماوى وتعمل بمبادئه كما كان الواجب عليك فلماذا خالفت كلام الله الذى أمرنا باطاعة القائمين بالأمر فينا ونهى عن قتل الملوك والحكام . ألم تشارك أعداء الملك فى مخالفة أوامر الدين وجلست فيمن جلس لمحاكمة مليكك وولى أمرك وقمت معهم بشنقه على أبواب قصره . ألم ترتكب هذا الوزر الكبير الذى حرمته الديانة ؟» .

ولـكن بيترز رد عليه قائلا كان الملك شـــارل لصا وقد ذكر فى الانجيل « ان اللصوصية أمر خطير » أجابه جيمس فى هـدوء ولـكنك نسيت ماذكر على لسان سليمان الحكيم اذ قال : «لاتحتقر لصا» .. ثم صاح به قائلا ماجدوى هذه المناقشة .. سلم نقودك حالا والا أطلقت عليك رصاصة من مسدسى تذهب بك الى العالم الآخر فى لحظة .

فارقت القاضى بيترز شجاعته وسلم لجيمس كيسا يحوى ثلاثين قطعة ذهبية وهم بالانصراف ولـكن جيمس لم يقنع بذلك فقد وقـع فى يده أحد الذين تسببوا فى قتل مليـكه فأراد الا يتركه الا بعد أن يأخذ جميع ما معه .

التفت اليه وقال :

ــ اعتقد ياسيدى ان ماوقع لك الآن كان نتيجة لعدم اتباعك أوامر الـكتاب المقدس فقد ذكر فيه : « لا تأخذ معك فى رحلاتك ذهبا أو فضة أو نحاسا » وارى انك قد حملت معك فى رحلتك ذهبا كثيرا على غير مانصح به الـكتاب المقدس ولذلك فانى اطلب اليـــك أن تعطينى عباءتك ..

لم يفهم القاضى ما الذى يقصده قاطع الطريق من طلب عبـــاءته ، ووقف حائرا ولـكن جيمس أوضح له مايرمى اليه قائلا :

ـ أنت تعلم ياسيدى أن المسيح منقذنا ومخلصنا أمر بانه اذا طلب احد منك عباءتك فلا تتردد فى اعطائها له بل امنحه ايضا رداءك الذى عليك عن طيب خاطر . ولذلك فلا اظن وقد رايتك متمسكا بأحكام الكتاب المقدس الى أبعد حد ان تخالف المسيح فيما امر به ولا أظن انك قد تتظاهر بالنسيان فها أنا اذكرك .

حاول بيترز ان يمانع فى تسليم عباءته وملابسه الى جيمس ولكن نظرة واحدة من هذا الأخير اليه كانت كفيلة بأن تجعله يقوم بتنفيذ ما اراده جيمس وسار فى الطريق وعليه ملابسه الداخلية فقط .

كان هذا الحادث الظريف الذى وقع بين قاطع الطريق والقاضى حديث الناس فى كل مكان وما من شك فى أن جيمس رواه بنفسه فى الحانات التىكان يرتادها وكان موضع طرب وسرور للبسطاء والدهماء.

قلنا ان هيو بيترز كان قد عين أسقفا بالكنيسة بعد اعتزاله القضاء وفى يوم من ايام الآحاد كان يقف يصلى بالناس فى الكنيسة وعقب الصلاة أخذ فى القاء موعظة وكان قد اقتبس موضوعها من « سفر نشيد الانشاد » فى الانجيل فبدأها بجملة وردت فى هذا السفر فقال « لقد خلعت معطفى فكيف استطيع ارتداؤه ثانية » عندئذ رد عليه أحد المصلين قائلا : الحق ياسيدى لايستطيع ان يجيبك على هذا السؤال سوى الكابتن جيمس هند ! ! وعندئذ تعالت ضحكات المصلين فى جنبات الكنيسة فما كان من القس الا ان ترك المنصة وعدل عن اتمام الوعظ . .

كان جيمس هند يحقد حقدا شديدا على كل من تسبب فى محاكمة الملك شارل الأول واعدامه فكان يتعقب خطواتهم عله يفوز بأحدهم كما فاز فى مغامرته السابقة مع هيوبيترز ، وفى أحد الأيام قابل أحدهم وهو القاضى برادشو فى الطريق الى دروست ـ اقترب جيمس من نافذة العربة التى يستقلها برادشو وطلب منه تسليمه نقوده . .

كان برادشو رجلا متكبرا سليط اللسان فنظر اليه باحتقار قائلا :

ـ الا تعرف من تخاطب ايها الوقح ! !

وكان يأمل أن يضطرب جيمس ولكن هذا الأخير لم يأبه لقوله بل ابتسم ورد عليه قائلا :

ـ اننى لا اخافك ولا يشرفنى أن اتعرف الى متشرد قاتل للملوك مثلك وانت الآن تحت رحمتى كما كان الملك شارل الأول المسكين تحت رحمتك ورحمة أمثالك من السفاكين واذا قتلتك فما من شك أن الرب

سيحمد لى عملى وسيذكر لى وطنى هذه اليد الكريمة التى اسديتها له ولكنى اريد لك الحياة لتتعذب ويحاسبك ضميرك النجس على الإثم الذى ارتكبته الى ان يحين الوقت الذى تتمكن العدالة فيه من القبض عليك بيدها الحديدية .. ولا اريد ازهاق روحك بيدى لأن فى ذلك تكريم لك فانت لاتستحق سوى الشنق على يد جلاد حقير مثلك .. وكن على يقين اننى اذا وهبتك الحياة الآن بالرغم من انك أحد قتلة مليكى فانى لا اتردد فى قتلك اذا امتنعت عن تسليمى ماتحمله من نقود .

عندئذ سلم برادشو الى جيمس اربعين شلنا فقط .. نظر اليه جيمس باحتقار شديد وقال له اننى أريد نقودا ذهبية واذا لم تفعل ذلك حالا فسوف تموت برصاصة من مسدسى تخترق قلبك .

اخرج برادشو من جيبه كيسا مملوءا بالذهب واعطاه لجيمس وبعد ان اطمأن هذا الأخير على ما يحويه الكيس من ذهب التفت الى برادشو وقال : « انت وامثالك القتلة قد كنتم مثل يهوذا وخنتم أقرب الناس اليكم وهو سيدكم ومولاكم تحت شعار انكم تفعلون هذا الاثم مؤتمرين بأمر الله » .. ثم اطلق ست رصاصات من مسدسه على الخيل التى كانت تقود عربة برادشو واسرع يعدو بجواده .

بعد عدة اشهر من هذا الحادث قابل جيمس فى الطريق بين بيترز فيلد وبورتسمورت عربة مسافرين جميع ركابها من النساء .

تقدم نحو العربة وأمر سائقها بالوقوف تحت تهديد سلاحه وانحنى للنسوة انحناءة كبيرة بعد أن القى عليهن التحية باحترام فقد كان مغرما بالنساء وعلى الأخص الجميلات منهن وتحدث اليهن قائلا :

ـ لقد اضطررت الى السفر فى هذا الطريق بحثا عن فتاتى التى احبها فقد هجرتنى دون ذنب ولن ادخر وسعا فى البحث عنها حتى اجدها وقد نفذت منى نقودى فى هذه الرحلة فأنا مضطر الى أن اتقدم اليكن طالبا معونتى ولا اظن انكن ترفضن طلبى .

وكانت السيدات يعلمن تمام العلم انه قاطع طريق ولكنهن أردن أن يتظاهرن بتصديقه فتقدمت اجملهن اليه وقالت له : «ياسيدى الفارس النبيل .. لقد تأثرنا جميعا لحالك ونأسف كثيرا لايمكننا مد يد العون الى شهم مثلك فان كل ما نحمله من نقود ان هو الا لأنه مهر «دوطة» عروس أودعته أمانة فى عنقنا لتوصيله الى عريسها ولا نظن انتقاليد الفروسية

تسمح لك بالاستيلاء عليه رغما منا فيكون جزاؤنا هو الاتهام بخيانة الأمانة وهذا أمر لا يرضيك » .

فكر جيمس قليلا ثم قال : « ياسيدتى الجميلة هل استطيع ان اعرف مقدار هذا المهر ؟ » .

اجابته السيدة قائلة : « هو ثلاثة آلاف جنيه » وسنوصلها كاملة غير منقوصة الى العريس الفارس .

قال جيمس : « أرجو ابلاغه أرق تحياتى واننى أدعى الكابتن جيمس هند ولحاجتى الشديدة الى المال فقد اقترضت من هذا المبلغ ثلثه فقط اى ألف جنيه ليكون عونى فى السفر والبحث عن فتاتى وسوف أرده اليه فى أقرب فرصة تسنح لى .

ماسمعت السيدات باسم الكابتن هند حتى ارتعدت فرائصهن فقد كانت شهرته كقاطع طريق قد انتشرت فى مدينة لندن كلها .

ولكنه ابتسم فى «وجوههن» وقال : « لا تخفن . فلن يحصل لكن سوء ، ولا اريد سوى الألف جنيه فقط .. فسلمتها له الفتاة التى وجهت اليه الحديث أولا عن طيب خاطر .

انحنى جيمس لها فى رشاقة بعد أن هنأ العروس على قرب زفافها وتمنى لها حياة حافلة بالمسرات وركض بجواده عائدا من حيث أتى .

كان رجال الحكومة القائمة فى ذلك الوقت لا يألون جهدا فىمطاردة جيمس هند ، فراقبوا معظم الطرق التى اعتاد ارتيادها الأمر الذى جعله يختفى فى بلدة صغيرة منتحلا اسما آخر وقد أنفق معظم ما كان معه من المال اذ كان مضطرا الى اعتزال عمله فترة من الوقت حتى يهدأ نشاط مطارديه ـ وما لبث أن نفذت نقوده كلها فاضطر الى بيع جواده وأخيرا عزم على المجازفة والعودة الى مهنته .

وكان قد وصل الى علمه فى البلدة التى كان مختفيا فيها أن طبيب هذه البلدة سيعود اليها فى المساء حاملا مبلغا كبيرا من المال فانتظره فى الطريق حتى اذا رآه قادما طلب منه أن يتكرم بمرافقته الى منزله لفحص زوجته المريضة ، فذهب معه الطبيب وهو مطمئن وما أن دخلا المنزل حتى أوصد جيمس الباب بالمفتاح واشهر مسدسه فى وجه الطبيب وطلب منه تسليمه ما معه من نقود وهدده بازهاق روحه اذا لم يفعل فلم يجد الطبيب بدا من الامتثال لأمره وخرج جيمس ومعه المال حيث امتطى صهوة جواده وفر به هاربا من البلدة .

ومهما قيل عن مغامرات جيمس هنـد وسرقاته المتعـددة التى ارتكبها فقد عرف عنه انه كان بارا بالفقراء ويحنو على الضعفاء ويساعد المعوزين ، ففى احدى غزواته قابل فلاحا فى الطريق وسأله عن وجهته فأجابه انه ذاهب الىسوق القرية ليشترى بقرة له ولأولاده بمبلغ اربعين شلنا كانت معه .. فقال له جيمس: كم عدد اولادك ؟

فأجابه الرجل : عشرة أولاد ..

لم يكن مع جيمس وقتذاك بنسا واحدا .. واخذته الشفقة بالرجل ولكنه كان فى اشد الاحتياج لهذا المبلغ .. فقال للرجل :

ـ اسمع ياوالدى .. لابد لى من أن آخذ المبلغ الذى تحمله ولكنى اعدك وعد الحر الصادق الأمين اننى سأرد لك اضعافه اذا قابلتنى فى مثل هذا اليوم من الاسبوع القادم فى هذا المكان اننى أدعى الكابتن « جيمس هند » ولعلك قـد سمعت ولـكن أحـذرك من التفوه بشىء عنى مما دار بينى وبينك اليوم .

رضخ الفلاح الطيب القلب لأمره فأعطاه نقوده وتوجه فى الموعد الى المكان الذى حدده له جيمس حيث وجده فى انتظاره واعطاه اضعاف المبلغ الذى أخذه منه قائلا له :

ـ لك ان تشترى بقرتين بدلا من واحدة .

ثم اضاف الى المبلغ عشرين شلنا قائلا له :

ـ تستطيع الآن انتقاء اسمن ما فى السوق من ابقار .

كان جيمس لايحب سفك الدماء فلم يعتد على أحد اعتداء بدنيا فى حوادثه ولـكنه اضطر أخيرا الى ارتكاب اخطر جرائم الاعتـــداء على النفس وهى جريمة القتل .

فقد حدث انه كان يسير بناحية «نول هيل» ليلا وسمع وقع حوافر جواد خلفه فظن خطأ منه انه أحد مطارديه فحاول الاسراع بجواده ليفلت من هذه المطاردة ولـكن الجواد الذى كان يجرى بفارسه خلفه كان أسرع من جواده فما لبث أن لحق به فما كان من جيمس الا أن أطلق مسدسه على الجواد فأخطأه فأطلقه مرة اخرى فأصاب الفارس فمات لساعته ولم يكن هذا الفارس سوى خادما لأحـد اللوردات وكان يريد اللحاق بسيده الذى سبقه فى الطريق بمسافة طويلة .

هذه هى الجريمة التى قبض على جيمس هند من أجلها فأضيفت الى قرار اتهاماته المتعددة ، وجدير بالذكر ان جيمس هند كان من أكثر

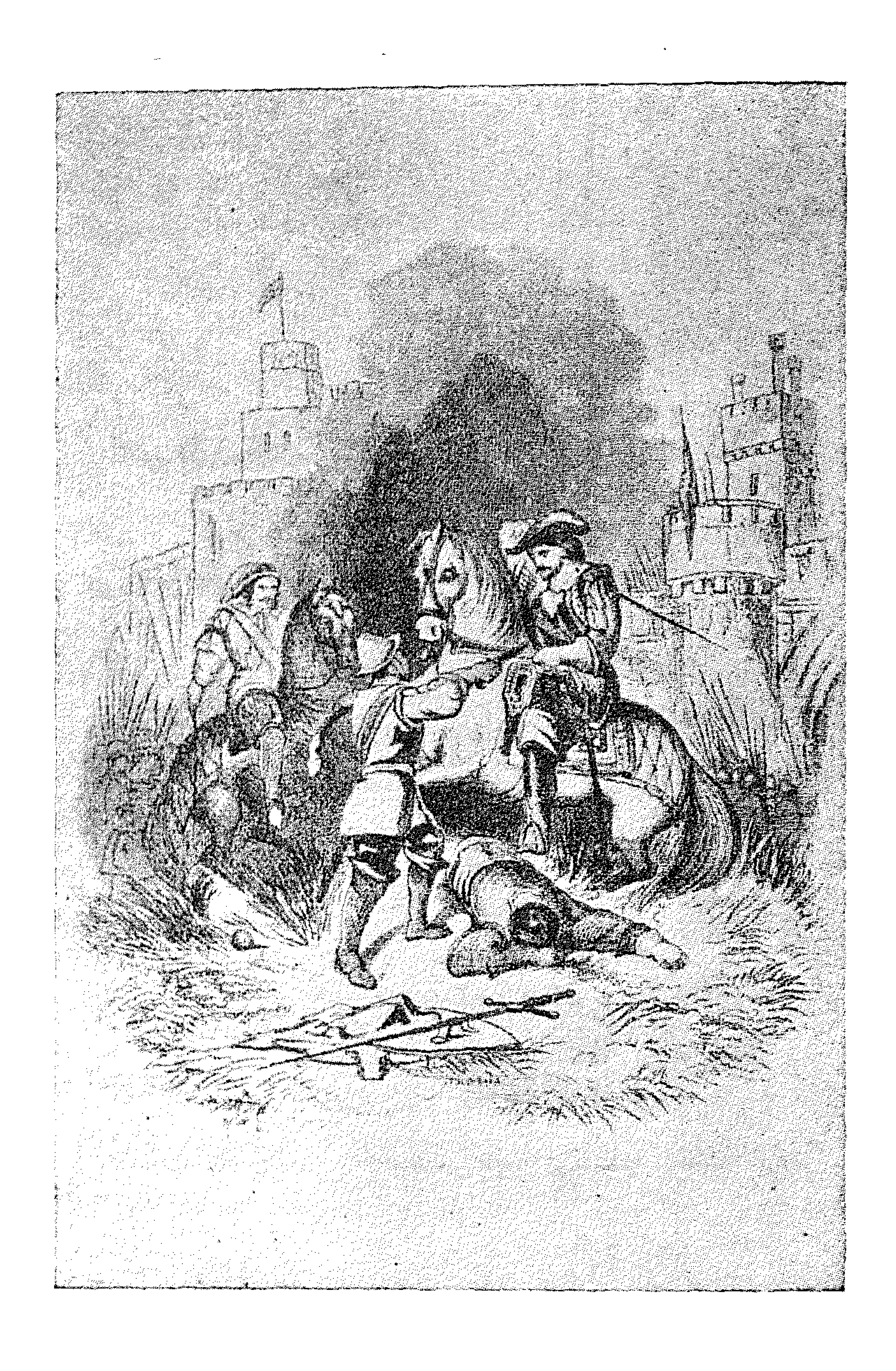
الناس حماسا للعائلة المالكة فقد انضم الى جيش البرنس شارل الذى حاول اعتلاء العرش بعد قتل والده الملك شارل الأول واشترك فى موقعة دورشستر فى ٣ من سبتمبر سنة١٦٥١ . وفى هذه الموقعة هزم جيش الملكيين « آل ستيوارت » وهرب جيمس الى لندن وشارك المدعو دنزى مسكنه تحت اسم مستعار وكانت حكومة كرومويل قد أعلنت عن جائزة مالية كبيرة لمن يرشد عنه وقد اغرى ضخامة هذه الجائزة صديقا قديما له فدل على مكانه فقبض عليه .

تولى التحقيق معه أحد اعضاء مجلس العموم وقدم للمحاكمة فى «الأولد بيلى» فى ١٢ من ديسمبر سنة ١٦٥١ ومن الغريب انه لم يقم دليل واحد ضده فى حوادث السطو التى ارتكبها ولكن الأدلة على ارتكابه جريمة القتل الأخيرة ثبتت عليه ثبوتا لا يحتمل اى شك فقضت المحكمة باعدامه واعدم ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره .

وعند وصوله الى ساحة الاعدام خاطب الجموع المحتشدة قائلا :

ـ ان معظم جرائم السطو التى ارتكبتها كانت موجهة الى أعداء الملكية وانه يموت ملكيا مخلصا لمليكه وانه اذ يأسف لشىء الآن فانما يأسف لأنه لن يعيش ليرى آل ستيوارت وقد استعادوا عرشهم المغتصب وان هؤلاء الثوار الذين كانوا السبب فى اعدام الملك شارل يستحقون الموت أكثر مما يستحقه هو .

نفذ الجلاد حكم الاعدام فى جيمس هند وبقيت جثته معلقة فى ساحة الاعدام لمدة أسبوع ثم ووريت فى التراب بعد ذلك .



٨ ـ كلود دى فال أو قاطع الطريق الشهم

أهم الشخصيات :

● **كلود دى فال**

أحد أهالى مقاطعة نورماندى بفرنسا ـ لص وقاطع طريق هاجر الى انجلترا أثناء حكم الملك شارل الثانى ثم عاد الى فرنسا ـ فنان بطبيعته بعجب بالجمال أينما وجد .

● **روبـــرت**

خادم مقرب للملك شارل الثانى ملك انجلترا .

● **الجزويتى**

قسيس ملك فرنسا في ذلك الوقت .

● **الزمن سنة ١٦٧٠**

ولد « كلود دى فال » باحدى القرى بمقاطعة نورماندى بفرنسا فى عام ١٦٤٢ وكان أبوه صاحب مطحن أما والدته فكانت ابنة ترزى وقـــد أهمل والده تربيته فلم ينل أى نصيب من العلم ولكنه كان بطبيعته ذكيا حاد الذكاء .

عندما بلغ دى فال الثالثة عشرة من عمره اخـذ يفكر فى مستقبله وكان قد ضاق ذرعا بمعيشته مع والديه فى قرية صغيرة فسافر الى روان عاصمة نورماندى ولم يكن معه من المال شيئا .

تعرف فى روان على أحد سائقى عربات المسافرين ودعاه الى العمل معه لمساعدته فى تقديم الطعام للجياد ومرافقته اثناء سفره الى باريس وفى الطريق توطدت العلاقة بينهما فظل فى خدمة هذا السائق مدة الى أن مل العمل معه فتركه واشتغل فى أعمال بسيطة مختلفة الى ان بلغ سن الثامنة عشرة .

وفى عام ١٦٦٠ عاد الملك شارل الثانى ملك انجلترا الى عرشه .. هاجر دى فال الى لندن على أمل أن يوفق الى عمل افضل وهناك التحق كبيرا لخدم أحد السادة الانجليز .

وكانت انجلترا فى ذلك الوقت تحتفل بعودة الملك الى العرش فامتلأت الحانات بالناس وشاركهم دى فال فى هذه الاعياد وهناك اختلط بكثير من المقامرين والسكارى وقطاع الطرق وتبادل الحديث معهم وأعجبوا بذكائه فأقنعوه بترك خدمة هذا السيد الانجليزى التى لا تدر عليه مالا والاشتراك معهم فى مغامراتهم .

رحب دى فال بهذا الراى واقتنع بوجاهته ورأى أن مهنة اللصوصية هى أسهل المهن للحصول على المال من طريق هين وبذلك وضعت الحكومة اسمه فى قائمة المطلوب القبض عليهم .

وبعض المغامرات التى قام بها لا تخلو من فكاهة فقد كان دى فال فنانا بطبيعته يعشق الموسيقى والرقص ويعجب بالجمال .. وصل الى علمه فى يوم من الأيام أن نبيلا انجليزيا ومعه زوجته مسـافران فى عربتهما ويحملان معهما أربعمائة جنيه ذهبى فعزم على مهاجمة العربة والاستيلاء على ما يحملانه من المال واصطحب معه خمسة رجال من اشجع

افراد عصابته وكمن بهم فى الطريق انتظارا لظهور العربة وما أن وصلت حتى استوقفوها واحاطوا بها من جميع النواحى .

وكانت زوجة هذا النبيل على قدر كبير من الذكاء فتظاهرت بأنها لا تأبه بهم واخذت تعزف الحانا على « ناى » كان معها .. وكان «دى فال» مغرما بالعزف على الناى بل كان يحمل معه هذه الآلة الموسيقية أينما ذهب وما أن سمع الألحان الشجية حتى امسك هو الآخر بنايه وصاحب السيدة فى عزفها وقد اشتد به الطرب وغمرته موجة عارمة من السرور .

ثم تقدم صوب باب العربة وخاطب النبيل قائلا « ان زوجتك تعزف على الناى بمهارة نادرة واعتقد انها تجيد الرقص ايضا فهلا سمحت لها بالترجل من العربة ومنحى شرف الرقص معها ؟ » .

رد عليه النبيل قائلا « لا استطيع أن ارفض لك طلبا فالواضح مما رايته منك الآن انك سيد كريم وطلبك يا سيدى معقول ومقبول » .

تقدم « دى فال » نحو باب العربة وانحنى فى احترام شديد الى زوجة النبيل ومد يده وساعدها على الترجل منها واخذ فى الرقص مع السيدة .

كان منظرهما غريبا حقا .. سيدة من الأشراف كريمة المحتد نبيلة الأصل تراقص قاطعا للطريق فى منتصف الليل على ضوء القمر . كان قاطع الطريق رشيقا فى حركاته رغم انه كان ينتعل حذاء الركوب ـ اما السيدة فقد اجادت هذه الليلة فى رقصها اجادة ليس لها مثيل فاذا نظرت اليهما وهما على هذه الحال حسبت انك تشاهد أبدع الرقصات فى دار الاوبرا .

وما ان انتهت الرقصة حتى أوصل السيدة ثانية الى العربة وساعدها برقة وهى تهم بالصعود اليها ثم انحنى لها مرة أخرى شاكرا لها عنايتها باجابة طلبه واسعاده بالرقص معها .. أراد النبيل أن يلحق بزوجته الى العربة ولكن دى فال أمسك بذراعه فى رفق قائلا « لقد نسيت يا سيدى أن تدفع اجر الموسيقى التى سمعتها » .

أجاب النبيل « لا يمكن ان انسى ذلك » . واخرج من تحت مقعده بالعربة مبلغ مائة جنيه ذهبا سلمها له عن طيب خاطر .

اخذها دى فال وهو ينحنى شاكرا وقال « اذهب بسلام يا سيدى » ان هذا المبلغ الذى دفعته طوعا وعن طيب خاطر لن تندم عليه فى يوم من الأيام .. ولعمرى لقد أنقذت بفعلك هـذا باقى المبلغ الذى معك والذى تحتفظ به تحت مقعدك .

ثم التفت الى رجال عصابته وقال « اذا تصادف وقابل أحدكم هذا السيد النبيل فى الطريق فليكن موضع احترامه واجلاله والويل لمن يمسه بسوء بعد اليوم .. رافقتك السلامة يا سيدى وستكون تحت حمايتى دائما » .

وفى احدى الليالى كان دى فال وعصابته يكمنون فى الطريق ليلا انتظارا لعربة المسافرين وتفرقوا جماعات كل أربعة رجال معا على أن تقف كل جماعة بعيدة عن الأخرى لمراقبة الطريق .. وصلت العربة وكان معظم المسافرين فيها من النساء وتقدمت احدى الجماعات نحوها ولم يكن دى فال من أفراد هذه الجماعة وامر زعيمها الراكبات بأن يسلمن له ما معهن من نقود وحلى وكان فظا غليظ القلب فى حديثه معهن .. وكانت احداهن تحمل على ذراعها طفلا رضيعا وقد وضعت زجاجة اللبن « بزازة » فى فمه يمتص منها من حين لآخر .

استولى زعيم هذه الجماعة على نقود وحلى المسافرات ولم يكتف بهذا بل مد يده الى فم الرضيع وانتزع زجاجة اللبن منها فأخذ الطفل فى الصراخ وتوسلت اليه والدته بأن يعيد للطفل الزجاجة ولكنه رفض بجفاء وقسوة .

كان « دى فال » يقف قريبا من هذا المكان وسمع بكاء الطفل فتوجه نحو العربة وعلم من رجال هذه الجماعة ما كان من أمر زعيمهم وانه اخذ زجاجة اللبن قسرا من فم الطفل فما كان من دى فال الا أن صفع الرجل على وجهه بكل قوة وصرخ فيه قائلا « الا تستطيع أن تتخلق بخلق الاسياد ؟ » . ثم نظر اليه ساخرا وأضاف « ولكن أرى انك بحاجة الى زجاجة اللبن اذ أن ما فعلت يؤكد فى أنك لا تزل طفلا رضيعا » .

أعاد « دى فال » الزجاجة الى والدة الطفل معتذرا . وظل واقفا حتى انصرفت العربة بسلام .

حدثت الطف مغامرات « دى فال » المثيرة بناحية بكنجهام شاير اذ دخل فى ليلة الى حانة التاج وسمع الحانا موسيقية شجية وغناء جميلا صادرا منها وعلم من أحد الجالسين أن القوم يحتفلون بعيد من أعيادهم اذ اعتادوا فى مثل هذا اليوم من كل سنة أن يجتمعوا فى هذه الحانة حيث يقوم الفتيان والفتيات بالرقص والغناء على أنغام الموسيقى واحتساء الشراب وانهم يطلقون على هذا اليوم « يوم بيكونز فيلد » .

جلس « دى فال » وقد هزه الطرب فقد كان مولعا بالرقص والموسيقى وراى ان هذه فرصة طيبة سنحت له للاشتراك مع القوم فى مرحهم

وقد تتهيأ له الظروف ليملأ جيبه الخاوى من المال وقتئذ من نقود هؤلاء الفلاحين السذج .

اتخذ مقعده في صالة الحانة بعد ان طلب من صاحبها أن يحضر له زجاجة من أجود أنواع النبيذ واخذ فى احتسائه وهو يراقب الحاضرين ولفت نظره غرفة جانبية كان بها عدد من الرجال يحتسون الخمر بشراهة ونهم وقد حلت بنت الحان عقدة لسانهم فأخذوا فى الحديث دون حذر أو حيطة .

سمع أحدهم وهو فلاح عجوز يباهى اصحابه بانه يحمل فى جيبه مائة جنيه ذهبا فسال لعاب « دى فال » وعول على الاستيلاء على المبلغ بأية طريقة وفى الوقت نفسه أراد أن يشبع هوايته بالرقص فتقدم الى فتاة وسألها أن تراقصه ولكنه كان يراقب الفلاح العجوز من طرف خفى حتى لا يغيب عن نظره ورآه قد أكثر من الشراب لدرجة كبيرة حتى كاد يفقد الوعى .

عزم « دى فال » على تنفيذ مأربه وأن يبدأ العمل . كان بالغرفة مدفاة تعلوها مدخنة طويلة تنفذ للخارج فصمم على استخدام هذه المدخنة لنيل غرضه فخرج الى الاسطبل الذى ترك فيه جواده قبل دخوله الى الحانة وكان بهذا الاسطبل تمثال رأس ثور كبير له قرنان فنزع التمثال من الحائط واتفق مع صبى الاسطبل « السايس » لقاء مبلغ من المال دفعه اليه على أن يضع هذا التمثال فوق راسه وأن يصعد الى اعلى المدخنة ثم يتدلى منها حتى يصل الى المدفاة التى بالغرفة . وانتظر حتى صعد « السايس » الى اعلى المدخنة ورآه وهو ينحدر داخلها وعاد الى الغرفة فى انتظار نجاح خطته . وبعد لحظات سمع الراقصون والراقصات فى الغرفة خوارا شديدا كخوار الثور صادرا من المدخنة فالتفتوا اليه واذا بهم يرون أمامهم ثورا كبيرا وله قرنان طويلان ينظر اليهم شذرا وهو يخور خوارا ارتجت له جوانب الغرفة .

ولا يغيب عن البال أن جميع من كان بالغرفة كانوا فى حالة سكر شديد فخيل لهم انه الشيطان بعينه فأسرعوا الى الباب محاولين الهرب من هذا الشيطان الذى توهموا انه سيفترسهم حتما والقى الموسيقيون بآلاتهم أرضا وتدافعوا الى الباب بغية الفرار فكان الثور يطؤها بقدميه . وكان الصبى وقد تخفى على هذه الصورة التى وصفناها يجرى فى جوانب الغرفة صارخا فى وجه من يقابله .. ابتسم « دى فال » وهو يراقب هذا المنظر المضحك وحدث نفسه قائلا « لقد قام الصبى بمهمته خير قيام واستحق النقود التى منحتها له » وفى أثناء هذا الهرج الشديد

لم يكن بالعسير على « دى فال » ان يتقدم صوب الفلاح العجوز وان ينشل من جيبه نقوده فأخذها وهو رابط الجأش وخرج من الغرفة حيث عرج على الاسطبل ومنح السائس منحة اخرى وامتطى جواده متجها الى لندن .

بعد قليل عاد رواد الحانة الى صوابهم وصرخ الفلاح العجوز قائلا « لقد سرقت نقودى » واتضح للجميع بعد ذلك أنهم كانوا ضحية أضحوكة سمجة .

وذات يوم كان « دى فال » يسير فى غابة وندسور فتقابل مع « روبر » أحد الخدم المقربين الى الملك شارك الثانى وسلب منه نقوده وملابسه وكان لهذا الفعل اكبر الأثر فى نشاط المسئولين الى محاولة القبض على « دى فال » بأية طريقة فأعلنوا عن مكافأة سخية لمن يدل على مكانه والتصقت على الجدران اعلانات كبيرة ذكرت فيها اوصافه . والجهات التى اعتاد ارتكاب حوادثه فيها .

ضيق الخناق على « دى فال » فراى انه من صالحه ان يهجر انجلترا فى الوقت الحاضر ويقفل راجعا الى فرنسا وطنه الأصلى .

عاش « دى فال » مدة فى مدينة باريس وكان يروى لكل من يقابله مغامراته فى انجلترا وبعد أشهر قليلة نفد ما معه من مال فاخذ يبحث عن صيد يملأ به جيوبه الخاوية .

ولم تكن مهنة « قاطع طريق » تدر على صاحبها مالا فى فرنسا كما كان الحال فى انجلترا فرأى « دى فال » أن يستخدم ذكاءه فى الاحتيال والنصب .

كان قد وصل الى علمه ان أحد القساوسة الجزويت مقرب الى ملك فرنسا وله منزلة كبيرة عنده ولا يرد له رجاء أو طلب . وكان يعلم أيضا أن هذا القسيس قد اشتهر بالبخل الشديد وانه حريص على جمع المال فأخذ يعمل على نصب شباكه حوله عله يحصل منه على بعض ماله .

أخذ يفكر فى هذا الأمر طويلا وراى انه لن يستطيع التقرب الى مثل هذا القس البخيل الا اذا اوهمه بأن لديه مشروعا يدر عليه مالا وفيرا دون كبير عناء ــ اذ أن القس كان يهمه جمع المال بأية طريقة .

تخفى « دى فال » فى ثوب طالب علم شاب وأخذ يراقب القسيس منتظرا مروره فى الطريق الى مسكنه .

تقدم « دى فال » من القسيس وألقى عليه التحية باحترام واجلال وقال « اننى يا سيدى طالب علم قد جبت انحاء العالم طلبا فى تحصيل

العلوم حتى حذقت الكثير منها وقد وقفت فى أثناء رحلاتى الكثيرة الى معرفة اسرار خطيرة واريد ان استخدم معلوماتي هذه لمنفعة بلادى ومليكى ولكن لن استطيع تنفيذ ما اريد الا اذا كنت تحت رعاية وتشجيع عالم دينى مثلك » .

أجـــاب القسيس « وما ماهيـــة هذه المعلومـات يا فتى ؟ اذ كان فيها الخير لفرنسا فكن على يقين اننى لن اتردد فى تشجيعك والأخذ بيدك» .

رد عليه « دى فال » قائلا « اننى يا سـيدى قضـيت معظم سنى حياتى فى دراسة علم الكيمياء وتحويل المعادن ودرست هذه الأسرار العميقة على أيدى علماء روما وفينسيـا وأســتطيع استخراج الذهب النفيس من المعادن الرخيصة بواسطة مسحوق لا يعـرف سر تركيبه غيرى » .

روى المؤرخون أن العلماء فى فرنسا وفى غيرها من الدول الاوربية كانوا يعتقدون امكان تحويل النحاس الى ذهب ولكن كان يعوزهم — كما كانوا يقولون — الحصول على سر تركيب المسحوق الذى يستخدم فى هذه العملية ولذلك لم يندهش القس لحـديث « دى فال » بل بالعكس قد سره حديثه أيما سرور اذ اعتقد أن « طالب العلم » هذا لابد أن يكون عالما بهذا السر .

رد عليه قائلا « ان ما تقوله فيه نفع كبير للملك وللوطن ، خاصة وأن حالة الملك المالية فى هذه الآونة ليست على ما يرام ولكن لن أصدقك الا اذا قمت بتجربة امامى فاذا نجحت فيها فلن أدخر وسعا فى مخاطبة جلالته فى هذا الشأن وبطبيعة الحال سيكون لك مكافأة طيبة » .

قال « دى فال » اننى على اتم الاستعداد لتنفيذ ما تريد واتفق معه القس على أن يحضر الى منزله فى اليوم التالى ليعد الأجهزة اللازمة لهذه العملية .

ذهب « دى فال » فى الميعاد واعطاه القس نقودا ليجهز بها معملا له ولشراء ما يلزم من ادوات لاجراء تجربته بعد أن أوصاه بكتمان الأمر عن كل مخلوق .

بعد عدة أيام طلب « دى فال » من القسيس أن يحضر الى المعمـــل ليراقب التجربة بنفسه وكان قد أحضر بوتقة القى فيها ببعض قطع من النحاس بعد أن فحصها القسيس جيدا . ووضعها على النار . وكان « دى فال » قد أحضر عصا طويلة مجوفة وضع بداخلها بعض القطـع

الذهبية .. واخذ يحرك النحاس لاذابته مستعينا بالعصا ولشدة الحرارة ذاب الذهب الذى بالعصا وسال منها الى البوتقة . ظل دى فال يحرك السائل بعصاه وبعد وقت انصهر النحاس فلم يبق منه الا رواسب لا تكاد تذكر بينما سال الذهب المخبأ فى العصا المجوفة الى حبيبات ذهبية صغيرة ظهرت تلمع فى البوتقة !!

كان سرور القس بنجاح التجربة لا يقدر فأخذ يقبل « دى فال » ويحتضنه فقد اقتنع الآن تماما بأنه قد اكتشف « السر العظيم » . لم يكن يسمح له بالغياب عن نظره لحظة واحدة واخذ فى التودد اليه والتقرب منه حتى انه اطلعه على جميع ما يحويه منزله من كنوز وأموال وتحف وجواهر .

وتظاهر « دى فال » بالوفاء الشديد للقس وكان فى دخيلة نفسه يفكر فى الطريقة التى يستولى فيها على ماله ومجوهراته بعد أن نجح فى خداعه .

وذات يوم نام القسيس بمعمل « دى فال » وما ان استغرق فى سباته حتى تقدم « دى فال » نحوه وكمم فاه وأوثق يديه ولم يترك له فرصة للاستغاثة او المقاومة ثم استولى على مفتاح خزانته حيث جمع ما فيها من مال ومصوغات وفر هاربا من المنزل .

وبعد يومين استقل مركبا عاد بها الى انجلترا وكانت عودته الى هذه البلاد من اكبر الأخطاء التى ارتكبها اذ ان البحث عنه كان لا يزال جاريا وقد امتلأت الجدران بأوصافه وبالاعلان عن جائزة مالية لمن يرشد عنه فقبض عليه بعد شهر من وصوله الى لندن فى حانة « هول » وحقق معه وقدم للمحاكمة فقضت المحكمة باعدامه واعدم فى ٢١ من يناير سنة ١٦٧٠ .



٩ ـ الادميرال بنج
قائد الاسطول البريطانى فى عام ١٧٥٧

أهم الشخصيات :

● الادميرال بنج	القائد العام للأسطول البريطانى
● قائد البحار وست	من كبار رجال البحرية
● الكابتن جاردنر	
● اللورد روبرت برتى	
● اللورد تمبل	الرئيس الأعلى للبحرية الانجليزية
● الدوق نيوكاسل	رئيس الوزارة
● الجنرال فاوك	حاكم ميناء جبل طارق

● الزمن سنة ١٧٥٧

كانت البارجة «مونارك» احدى قطع الاسطول البريطانى الراسى فى ميناء بورت سموث بانجلترا مسرحا لمأساة تاريخية كبرى ·

وكان اليوم ١٤ من مارس ١٧٥٧ اذ أعدم على ظهرها رميا بالرصاص الادميرال بنج أحد قادة الأسطول البريطانى فى القرن الثامن عشر ·

وكانت الجريمة التى نسبت اليه هى انه«ظهر بمظهر الجبان الرعديد عند مواجهته للاسـطول الفرنسى بالقرب من جزيرة ميتوركا بالبحر الأبيض المتوسط » .

وسيظل هذا الحادث المؤسف وصمة عار فى جبين العدالةالبريطانية الى أبد الآبدين · حقيقة لقد هزم الادميرال بنج فى هذه الموقعة البحرية ولكن ذلك لم يكن عن جبن منه كما نسب اليه فى قرار الاتهـام بل لأن أسطول العدو كان يفوقه عددا وقوة .

سخر الكاتب الفرنسى « فولتير » من هذا الحادث المؤسف فى احدى مقالاته بجريدة « كانديد » الفرنسية اذ كتب يقول :

كانت جموع الناس تكاد تملأ شاطىء ميناء بورت سموث يتطـلعون ببصرهم ناحية البارجة الراسية فى الميناء وقد لاح على سطحها سـيد كبير الحجم راكعا على ركبتيه وعصبت عيناه بعصابة سوداء ووقف امامه أربعة جنود من البحرية اطلق عليه واحد منهم ثلاث رصاصات بكل هدوء فسقط صريعا .. ثم انصرف الناس .

سأل المشـاهدين لهذا الحادث رجلا يقف بجانبه فقال « ما معنى كل هذا » ومن يكون هذا التعس الذى أعدم بهذه الطريقة الوحشية .

اجاب الرجل « هو الادميرال »

ولماذا يعدمون الادميرال ؟ فاجاب آخر من المشاهدين « لأنه عجزعن قتل ادميرال آخر مثله اشتبك معه فى معركة بحرية ولم يقترب ببارجته الاقتراب الكافى حتى يتمكن من الفتك به » .

وهل هذا يدعو الى اعدامه رميا بالرصاص ؟

اجاب المسئول : « يقولون انه من مصلحة هذا البلد قتل ادميرال من وقت لآخر وذلك لتشجيع الآخرين » .

***

كان بنج ضحية للادارة الضعيفة التي كانت تدار بهاانجلترا وقتذاك. فقد ارادت الوزارة ان تنجو بسمعتها امام الرأى العام عندما سقطت مينوركا فى ايدى الفرنسيين فرات أن تلصق تهمة هذه الهزيمة بالادميرال بنج وأن يموت ميتة خائن لبلاده .

في عام ١٧٥٦ كانت جميع الأمور فى انجلترا غير مستقرة اذ اهملت الوزارة العناية بأمر المستعمرات البريطانية كما لم تهتم بشأن الدفاع عن البلاد وحمايتها من الغزاة ولأجل أن تحتفظ الوزارة بالحكم فقد كانت تتزلف الى الملك جورج الثانى الذى كان همه الوحيد هو «حماية هانوفر» وطنه الأصلى الذى نشأ وترعرع فيه فأنفقت الأموال الطائلة لهذا الغرض واهملت باقى شئون الدولة .

كانت انجلترا مهددة بالغزو من جانب فرنسا وبحاجة الى ما يقرب من خمسين الف جندى لحماية الشواطىء ولما كانت خزانة الدولة تكاد تكون خاوية فقد اكتفى بثمانية آلاف جندى فقط لهذا الغرض وكانت جزيرة مينوركا قد استولى عليها الانجليز من الفرنسيين فى عام ١٧٠٨ ومنذ سقوطها فى يدهم والفرنسيون لا يألون جهدا فى العمل على استعادتها منهم واخذوا ينتظرون الفرصة التى تهيىء لهم تحقيق غرضهم وسنحت هذه الفرصة اخيرا فى عام ١٧٥٦ فقد أهمل البريطانيون أمر تحصينها .

اخذت فرنسا فى الاستعداد لغزو هذه الجزيرة التى تعتبر من أهم موانى البحر الأبيض .

وكانت المعلومات تصل تباعا الى الحكومة البريطانية عن هذا الاستعداد ولكنها لم تهتم فى كثير أو قليل ولم تعمل على تحصين الجزيرة بل قابلت هذه الأنباء الخطيرة بكل ازدراء .

وصل الى علم « نيوكاسل » رئيس الوزراء ان اسطولا حربيا مكونا من اربع عشرة قطعة قد استعد فى ميناء طولون يحمل آلاف الجنود وأن المؤن والذخيرة تنقل الى هذا الأسطول بكميات وفيرة مما يؤكد انه فى الطريق الى عمل حربى ولكن الوزارة لم تحرك ساكنا الى ان جاءت المعلومات بصفة مؤكدة بأن هذا الأسطول الكبير فى طريقه الى مينوركا .

عندئذ فقط استيقظ ولاة الأمور من سباتهم واصدرت الوزارة امرها الى الادميرال بنج فى ٧ من ابريل سنة ١٧٥٦ بالابحار الى هناك للدفاع عن الجزيرة .

أقلع بنج على رأس أسطول هزيل من ميناء سبنهد واذا به يفاجأ بأسطول فرنسى آخر يقطع عليه الطريق - الأمر الذى اضطر معه الى محاولة عبور خليج بسكاى للوصول الى مينودكا مجازفا بعبور مائتى فرسخ بينما لم يكن أمام الأسطول الفرنسى الذى أبحر من طولون سوى سبعون فرسخا للوصول الى هناك .

كان الأسطول الفرنسى مكونا من اثنتا عشرة بارجةتحمل ستة عشر ألف مقاتل وعتادا ومؤونة لاحصر لها بينما كان أسطول بنج يتكون منعشر سفن صغيرة فى حالة غير صالحة للحرب .

كان بنجقد غادر انجلتراعلىرأس أسطولهقبل رحيل الأسطولالفرنسى من ميناء طولون بثلاثة أيام وعلى ذلك لم يكن فى استطاعته لقاء الأسطول الفرنسى قبل وصول هذا الأخير الى مينوركا . وكانت « ميناء ماهون » التى يقصدها الأسطول الفرنسى غير محصـــنة كما كان حاكم الجزيرة اللورد تابراولى متغيبا فى انجلترا ويباشر اعماله الجنرال بلاكن وهـو ضابط كفء ولكن عدم تحصين الجزيرة وضآلة عدد الجنود بها أعجزتاه عن اظهار هذه الكفاءة .

علم بلاكن بقرب وصول الأسطول الفرنسى فأخذ فى الاستعداد فجمع كل رجاله فى قلعة سانت فيليب وكان عددهم ٢٨٠٠ مقاتل فقط وهـو عدد غير كاف لحماية الجزيرة من الغزو.

ظهر الأسطول الفرنسى بالقرب من الجزيرة فى ١٨ من ابريل ولم يكن الادميرال بنج قد وصل بسفنه بعد اذ وصل فى اليوم التالى .

عرج بنج وهو فى طريقه الى مينوركا الى ميناء جبل طارق وطلب من حاكمها الجنرال فاوك ان يمده بقوة من الجنود تنفيذا لأمر وزارة الحرب ولكن الحاكم رفض رفضا باتا تنفيذ هذا الأمر بحجة أن الميناء فى حاجة الى كل الجنود الذين بها لحمايتها . وكان هذا الرفض أول عقبة فى سبيل الادميرال بنج وهو فى طريقه لتأدية رسالته .

استمر بنج فى طريقه الىمينوركا وهو فى حالة يأس قاتل اذ كان يعتقد أن الجزيرة لابد وأن تكون قد سقطت فى يد الأعداء ولكنه ما أن اقترب من الميناء ورأى العلم البريطانى لا يزال يخفق فوق ساريتها حتى اخذ الأمل بانقاذها يعود الى نفسه .

ولو كان أسطول بنج فى حالة جيدة لأمكنه بسهولة ان يهـــاجم الاسطول الفرنسى فى عرض البحر مادام لم يستول على الجزيرة بعد.

وكان الأسطول الفرنسى تحت قيادة أدميرال البحر « لاجالبسويتير » وتقابل الأسطولان وجها لوجه فى العشرين من شهر مايو .

اصدر الادميرال بنج أوامره الى قائد البحار وست بأن يشغل جناح العدو الأيسر وقد نجح هذا الأخير فى ذلك حتى ان السفن المكون منها هذا الجناح اخذت تتفرق فى عرض البحر وارتد باقى الأسطول الى الخلف وفى هذه اللحظة التى كاد ان ينتصر فيها الأسطول الانجليزى بحث عن البارجة التى يقودها الادميرال بنج فوجد انها قد ابتعدت كثيرا عن ميدان المعركة مع أنها كانت مزودة بتسعين مدفعا ولو أنه اشترك فى القتال لاستطاع تدمير الأسطول الفرنسى عن آخره

ابتعد الأسطول الفرنسى وترك الادميرال بنج ليرسو ببوارجه بميناء مينوركا اذا أراد .

عقد بنج اجتماعا ببارجته ضم جميع ضباط السفن المحاربة واتضح أن الخسارة التى لحقت بالأسطول البريطانى كانت اثنين وأربعين قتيلا من الجنود منهم القبطان اندروز قائد البارجة « ديفايانس » ومائة وستة وثمانون جريحا .

وقال بنج للضباط فى هذا الاجتماع ان سفن اسطوله قد أصيبت بخسائر جسيمة فى هذه المعركة القصيرة وان الجزيرة تكاد تكون خالية من الاستعداد لمقاومة الأسطول الفرنسى اذا اراد الاستيلاء عليها واقترح ان يعود بالأسطول الى جبل طارق وبعد مناقشة حامية بينه وبين الضباط وافقوا على رأيه وبدأ الأسطول البريطانى فى الانسحاب ـ وبعد أن ابتعد عن ميدان المعركة هاجم الأسطول الفرنسى الجزيرة واستولى عليها دون كبير عناء بعد مقاومة ضعيفة من جانب الجنرال بلاكن حاكم الجزيرة بالنيابة .

كان لاستيلاء الفرنسيين على الجزيرة رنة حزن وأسف فى انجلترا وضربة شديدة لكبريائها وطلب الرأى العام محاكمة من تسبب فى هذه الكارثة .. وألقى اللوم على الحكومة لأنها أهملت تحصين هذه الجزيرة وطلب اجراء تحقيق سريع فى هذا الشأن عندئذ لم تجد الوزارة بدا من أن تجعل من الأدميرال بنج كبش الفداء .

اعيد بنج ونائبه وست الى انجلترا أسيرين ـ اما الجنرال بلاكن الذى دافع عن الجزيرة قدر استطاعته فقد أنعم عليه بلقب « بارون » ـ كما القى القبض أيضا على الجنرال فويك حاكم جبل طارق .

عندما وصل بنج الى ميناء بورتسموت كانت الجماهير محتشدة بها وما أن غادر البارجة الى الشاطىء حتى حاولت الفتك به وسار تحت حراسة ستون جنديا فى طريقه الى لندن لمحاكمته — وكان أثناء وجوده معتقلا يحرر خطابات شديدة اللهجة الى الوزارة مدافعا عن تصرفه وملقيا اللوم على رجال الحكومة وحدهم الذين لم يهتموا أقل اهتمام بحالة الأسطول أو بتحصين مستعمرات المملكة .

كان الدوق نيو كاسل رئيسا للوزارة وقتئذ ، ولاشك أنه كان ملوماً هو ووزراؤه أيضا بصفته رئيسا للحكومة وبدلا من ان يتيح للادميرال بنج محاكمة عادلة فقد اخذ فى تشجيع الراى العام الذى كان حاقدا على بنج اعتقادا منه انه المتسبب الوحيد فى هزيمة الأسطول .

كانت الجماهير تصيح فى الشوارع مطالبة براس بنج وكان همرئيس الوزراء هو النجاة براسه حتى انه صرح أمام الجموع المحتشدة بأن بنج سوف يشنق فى أقرب فرصة .

كان سخط الناس على بنج يفوق كل سخط فاحرقت صوره وهوجم مسكنه فى هرتفورد شاير أما « وست » فقد أطلق سراحه ونال تقدير الملك على ما أظهره من شجاعة .

واخيرا شكلت محكمة عسكرية فى ٢٨ من ديسمبر ١٧٥٦ لمحاكمة الأدميرال على ظهر الباخرة سانت جورج وتلى على بنج قرار الاتهام الذى يتلخص فى أنه أظهر كثيرا من الجبن تجاه العدو وكانت هذه الجريمة تعتبر فى ذلك الوقت من جرائم « الخيانة العظمى » .

دعى للشهادة قائد البحار وست — ولم تكن شهادته فى مجموعها فى صالح الأدميرال فقد القى عليه اللوم لعدم أسراعه الى نجدته عندما نجح فى تشتيت بوارج الجناح الأيسر من الأسطول الفرنسى ولو كان قد فعل لأمكن بسهولة الحاق الهزيمة بهذا الأسطول .

وجه بنج السؤال التالى له : هل تعتقد أن قوة الحملة كانت تستطيع تخليص « مينوركا » ؟

وست — لا أعتقد ذلك .

بنج — ألم تكن بعض السفن فى حالة يرثى لها من العتاد والسلاح وعدد المقاتلين على سطحها .

وست — نعم .

دعى الشاهد التالى وهو الجنرال بلاكن ـ وكان قد أنعم عليه بعد ذلك بالبارونية ـ فقـــال بعد أداء اليمين أنه يعتقد أن قوات بنج كان يمكنها النزول الى الجزيرة .

المحكمة ـ ألم يكن نزول القوات وقتئذ الى الجزيرة محفوفا بالاخطار ؟

الشـاهد ـ بالتأكيد ولكنها هى الحرب .

بنج ـ هل تعتقد أن جنود الحملة كاف للدفاع عن الجزيرة ؟

الشـاهد ـ نعم .

بنج ـ اذا كنت قد انزلت الجنود بالجزيرة فهل كان فى استطاعتهم ـ على قلة عددهم وعدم وجود ذخيرة كافية لديهم ـ أن يدفعوا بالأسطول الفرنسى عنها فى حالة الغزو .

الشاهد ـ لا أستطيع أن أؤكد ذلك ولكنى أعتقد أنه كان فى امكانهم الدفاع عن الجزيرة حتى تحضر قوة من جبل طارق لمعونتهم ؟

سئل عدد آخر من الشهود فاجمعوا على انه لم يكن هناك ما يمنع الادميرال من الاشتراك فى المعركة ونجدة وست الذى نجح فى تفــريق شمل جناح العدو الأيسر .

سئل الكابتن جاردنر الذى كان مع بنج على ظهر البارجة «راميليس» عما اذا كان قد ظهر على بنج أثناء المعركة ما يدل على الخـــوف أو التردد فأجاب بالنفى .

وكان من أهم الشهود الذين شهدوا الى جانب بنج اللــورد روبرت برنى فقد كان ملازما له أثناء المعركة وقد أجاب على سؤال وجه اليه من المحكمة أن بنج كان حكيما باحتفاظه بقواته على ظهر الأسطول اذ أن هذه القوات لم تكن لتستطيع الدفاع عن مينوركا ووجودها على ظهر السفن أمر طبيعى بدلا من دفعها الى مغامرة فاشلة كما شهد بأن الادميرال بنج كان شجاعا ويصدر أوامره بروية وتدبر .

وقد وجهت اليه المحكمة الســؤال التالى : هل سمعت أن أحدا من الضباط او الجنود يتذمر لأن بنج لم يقم بواجبه خير قيام.

الشاهد ـ لم أسمع بهذا اطلاقا ؟

وشهد أيضا لصالح بنج الكولونيل سميث والكابتن وارد .

وبذلك انتهت المحكمة العسكرية من سماع اقوال جميع الشهود نفيا واثباتا .

وبدأ الادميرال بنج الدفاع عن نفسه فقال :

« أقف اليوم فى موقف لا أحسد عليه فان التهمة الموجهة الى لاتهدد حياتى وكل ما أملك بل تهدد أيضا ذكراى بعد وفاتى فلا عجب اذا رأتنى المحكمة مضطربا ولكنى متأكد من براءتى كما أننى متأكد أيضا من عدالة هذه المحكمة .

واخذ بعد ذلك يشرح بوضوح تام تفاصيل المعركة التى نشبت بين أسطوله وأسطول العدو وبعد أن خلص من هذا الشرح أضاف قائلا :

كان أسطولى فى حالة يرثى لها بالنسبة الى قوة أسطول العدو ، فاذا حاولت من جهتى الوقوف أمامه فقد كانت هزيمتى محققة ولاستطاع العدو تدمير كل سفينة من سفنى بسهولة ويسر فى وقت نحن فيه فى حاجة ماسة الى كل قطعة حربية عندنا وكان من حسن الطالع أن اخذ الأسطول الفرنسى فى الانسحاب بعد أن نجح أميرالبحار وست فى هزيمة جناحه الأيسر ولو كنت قد تعقبت هذا الأسطول فى انسحابه لأمكنه بسهولة الانتصار علينا ولكنى رأيت أن اسرع الى حماية جبل طارق حتى لا أعطى لأسطول العدو فرصة مهاجمة هذا الحصن .

انتهى بنج من دفاعه وكان كبير الأمل فى صدور الحكم ببراءته ولكن المحكمة العسكرية رأت عكس ذلك وقال العضو الملخص للقضية بأن بنج « لم يبذل قصارى جهده فى الدفاع عن جزيرة مينوركا — ولم يظهر أية محاولة للاشتباك مع سفن العدو مع أن ذلك كان من أول واجباته وعلى ذلك فهو يستحق الاعدام رميا بالرصاص وذلك بعد موافقة مجلس الحرب الأعلى على هذا الحكم » .

وأضافت المحكمة أنه نظرا لما شهد به اللورد روبرت برتى والكولونيل سمث والكابتن جاردنر الذين كانوا مع بنج على ظهر سفينته من أنهم لم يأخذوا عليه أى تقصير فى عمله ولم تنقصه الشجاعة الكافية فى اصدار أوامره أثناء قيادته للمعركة فان المحكمة تحذف من قرار الاتهام تهمة « الجبن » التى وصف بها ..

والذى يؤخذ من كل ما تقدم أن المحكمة فى تلخيصها للدعوى لم تنسب الى بنج سوى أنه تصرف تصرفا خاليا من الدقة الأمر الذى لا يتفق وصدور الحكم ضده بالاعدام .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الحكم صدر باجماع آراء أعضاء المحكمة .

ولما كان الادميرال بنج عضوا فى مجلس العموم علاوة على وظيفته فقد استلزم الحال عرض الدعوى أمام هذا المجلس الذى وافق عليه بعد أن استدعى جميع أعضاء المحكمة وسمع أقوالهم فى هذا الصدد .

أما اللورد تمبل رئيس المجلس الأعلى للبحرية وقتئذ فكان له راى آخر اذ صرح بأن بنج لا يستحق الحكم عليه بالاعدام مادام قد اتضح للمحكمة عدم ثبوت تهمة « الجبن » المنسوبة اليه .

وقدمت عرائض كثيرة للملك للعفو عن بنج أهمها العريضة التى قدمها « وليم بت » السياسى الانجليزى الشهير ولكن كل هذا لم يجد نفعا اذ كانت الوزارة وعلى رأسها الدوق نيوكاسل تريد الاستجابة لرغبة الشعب باعدام بنج ناسبة اليه أنه كان السبب المباشر فى ضياع جزيرة مينوركا من ممتلكات التاج .

نفذ حكم الاعدام فى يوم ١٤ من مارس على ظهر البارجة « مونارك » وكان بنج هادئا حتى أنه رفض أن يضعوا عصابة على عينيه الا بعد أن ألح عليه أحد الضباط بأن وجوده غير معصوب العينين قد يسبب اضطرابا للجنود الذين سيطلقون عليه النار .

جلس على كرسى وضع فوق ظهر البارجة وفى لحظة اطلق عليه أربعة رصاصات اخترقت جسده وهكذا انتهت حياة الادميرال بنج قائد الأسطول الانجليزى فى القرن الثامن عشر .

(١٠)

« محاكمة كاترين هايز »

الزوجة القــاتلة

وقع في مدينة لندن في ربيع عام ١٧٢٦ جريمة بشعة هزت مشاعر الناس في جميع انحاء الجزر البريطانية وأثارت ضجة كبيرة بها ووقائع هذه الجريمة تصلح لأن تكون نواة لقصة بوليسية من قصص الرعب والى القارىء التفاصيل :

في ليلة مظلمة كان أحد حراس الصنادل البحرية الراسية في حوض السفن بالقرب من وستمنستر بنوبة حراسة ليلا واذا به يسمع صوت سقوط شيء ثقيل في مياه النهر ولم يتبين هذا الشيء لشدة الظلام وانتشار الضباب .

وفوجىء في الصباح هو وزميله « روبنسون » حارس الشاطىء بوجود راس آدمية طمس الطين معالمها وتجمدت الدماء في أجزائها ملقاة على الشاطىء . افزعهما هذا المنظر البشع فأسرع روبنسون بابلاغ الأمر لذوى الشأن بينما اجتمع بعض الناس بدافع الفضول حول هذه الراس ولوحظ وقتئذ وجود دلو (جردل) بجوارها عليه آثار دماء متجمدة .

وما من شك في ان وجود الدلو في هذا المكان بجوار الراس يستفاد منه لأول وهلة أنها كانت به عندما ألقيت في النهر ليلا وقذف بها المد والجزر الى الشاطىء في الصباح .

انتقل البوليس الى مكان الحادث وادلى كل من الحارسين بمعلوماته في هذا الشأن واهتم رجال البوليس بالبحث عن باقي الجسد ولكن بحثهم لم يسفر عن شيء .

رفعت الراس فوق وتد بميدان الكنيسة بالبلدة عل أحدا من الناس يتعرف عليها وذلك بعد أن ازيل عنها آثار الطين التي كانت لاصقة بها وكان البوليس يراقب الناس عن بعد على أمل أن يساعدهم في الكشف عن المجرم .

وهناك مثل قديم يقول بأن المجرم يحوم دائما حول مسرح الجريمة. وقيل ان هذا المثل له نصيب كبير من الصحة وانه قيل — أول ما قيل — في الدانمرك ويروى عن ذلك الأسطورة التالية :

« تشاجر بعض السكارى في حانة من حانات المدينة وانطفأ النور اثناء المشاجرة وفي الظلام طعن أحد المتشاجرين آخرا بخنجر في

صدره . وقبل وفاته أتهم أحد أتباع الملك كريستانوس الثـــانى ملك الدانمرك . اخطر الملك بالحادث فعزم على اكتشاف القاتل .

« أمر الملك جميع من كانوا بالحانة وقت وقوع الشجار ان يجتمعوا فيها وكان المجنى عليه « القتيل » ملقى بها وحضر الملك وأمر ان يتقـدم كل منهم على انفراد أمام جثة القتيل وأن يضع يده اليمنى على صدره » .

« انصاع الجميع الى أمر الملك ماعدا واحد منهم .. أرغمه الملك بأن يفعل مثل ما فعل الجميع فتقدم نحو الجثة بقدم غير ثابتة وما أن وضع يده على صدر القتيل حتى انبثق الدم بغزارة من الجرح .. ثم مالبث هذا الشخص ان اعترف بأنه هو المرتكب للحادث »

وقيل بأن هذه الأسطورة هي النواة التى نبع منها هذا المثل القديم .

ظلت الراس معلقة فوق الوتد ، عدة أيام ومع ذلك لم يتعرف أحد عليها الى أن تقدم نحوها شخص من اهالى المدينة يدعى بنت نظر اليها فى اول الأمر دون اهتمام ثم أخذ فى التفرس فيها جيدا لمدة طويلة ثم ابتعد عن المكان فى هدوء وهو مستغرق فى التفكير .

حصل كل هذا والبوليس يراقبه .. سار الرجل الى ان وصل الى منزل كاترين هايز « المتهمة الأولى فى القضية » وقال لهـــا « ان راس القتيل هى راس زوجك » ولكنها أجابته بسخرية « انك تهذى ولاشــك فان زوجى بصحة تامة وهو الآن فى عمله .. احذر يا رجل من التدخل فى شئون غيرك فقد يسبب لك هذا الكثير من المتاعب » .

تقدم رجل آخر هو « خياط القرية » الى معاينـــة الراس وعاد الى حانوته حيث أفضى الى زملائه فى العمل انه لاحظ وجود شبه كبير بين هذه الراس وبين هايز « زوج كاترين » وهؤلاء الزملاء بدورهم ذهبــوا لمشاهدة الراس وعادوا وهم على يقين من انها راس هايز .

شخص واحد من سكان القرية لم يذهب لمشاهدة الراس وهو المدعو بلنجز « المتهم الثانى فى القضية » .. وكان يقطن مع هايز فى منزل واحد وقد أخبره الناس بأن الراس لهايز ولكنه سخر منهم وقال «انكم تهذون ولاشك فقد تركت هايز من لحظات فى منزله » .

بعد اربعة أيام اضطر البوليس الى رفع راس القتيل من الميدان اذ أن الفساد ابتدأ يتطرق اليها ورأى الدكتور وست بروك ان يحتفظ بها فى اناء زجاجى مملوء بالكحول حتى لا تتحلل وأن يعرضها بعـــد ذلك فى نافذة عيادته لعل أحدا يتعرف عليها .

ترددت الشائعات فى القرية بأن الخياط وغيره قد تعرفوا على الراس وانها « لهايز » وشكوا فى الأمر كثيرا وخصوصا وأن هايز لم يظهر فى الأماكن التى اعتاد التردد عليها من مدة .

كان لهايز صديق يدعى آشبى فذهب الى كاترين وسأل عن زوجها فأجابته بأنه تشاجر من مدة مع احد الأهالى وطعنه اثناء الشجار بخنجر فمات لساعته ولكنه اتفق مع زوجة القتيل أن يدفع لهـا مبلغـا كبيرا من المال تعويضا لها على الا تبلغ البوليس ورضيت الزوجة واخفيا معا الجثة واشترطت على هايز ان يمدها ايضا بمبلغ مناسب كل سـنة ولكنه أخل بهذا الالتزام وخشى أن تشى به الزوجة ففر هاربا .

لم يقتنع آشبى بهذه الاجابة وأخذ يناقشها فقال لها :

ـ هل الراس التى عثر عليها هى رأس الرجل الذى قتله زوجك ؟

ـ لا .. فقد دفنت الجثة بعد الحادث مباشرة فى المزارع .

ـ الى اى جهة سافر زوجك .

ـ لقد هرب الى البرتغال .

اعتقد آشبى ان كاترين تخفى عنه الحقيقة وانها غير صـادقة فى روايتها فتركها وذهب الى صديق له ولهايز يدعى لانجمور وأفهمـه بأن يتوجه الى كاترين ويسألها نفس الأسئلة التى وجهها اليها آشبى ويرى بماذا تجيب ثم يقارنا معا هذه الاجابة .

ذهب لونجمور الى كاترين التى بادرته بقولها « اظن ان المسـتر آشبى قد أخبرك بالمحنة التى اجتازها » .

ـ اننى لم أر آشبى من مدة طويلة .. ولكن ما هى المحنة التى حلت بك ؟ ارجو الا يكون زوجك قد سجن لدين عليه ؟

ـ ان الأمر اكثر سوءا مما تظن .

ـ هل قتل احدا ؟

ـ نعم .. هذه هى الحقيقة المؤلمة .

ثم اخذته الى غرفة أخرى من المنزل واغلقت الباب وروت له نفس الرواية التى روتها لآشبى ولم تختلف عنها سوى فى نقطة واحدة اذ انها أخبرته بأن زوجها قد فر الى هارتفـورد شاير بانجلتـرا .. أى أنه لم يهرب الى البرتغال كما قالت لآشبى وأضافت بأن زوجها حمل معـه قبل رحيله اربعة مسدسات للدفاع عن نفسه اذ لزم الأمر .

قال لونجمور :

ـ لاشك ان هذه رعونة كبيرة من جانب زوجك .. كيف يفر وهو يحمل سلاحا ؟ انه اذا قبض عليه سيعتبر قاطعا للطريق ويحاكم ويعدم (١) .

استفسر لونجمور منها هل كان مع زوجك وقت هروبه نقودا .

ـ كان معه ما يقرب به السبع والعشرين جنيها مخبأة فى ثيابه .

وقد وافقت مسز سبرنجيت كاترين بأنها شاهدت هايز عند رحيله من المنزل ليلا .

عاد لونجمور الى صديقه آشبى وقص عليه الحديث الذى دار بينه وبين كاترين وقد بدات الشكوك تساورهما فى صدق هذه الرواية واعتقدا ان حادثا لابد أن يكون قد وقع له .

اتفق الصديقان على أن يشاركا معهما فى الرأى صديق لهما ولهايز هو « المستر ايتون » وذلك بعد ان ذهب ثلاثتهم وعاينوا الراس مرة اخرى وتأكدوا جميعا انها راس هايز .

اتفق الثلاثة على ان يوفدوا شقيق لونجمور الى كاترين هايز ويحاول استدراجها واستجلاء الحقيقة منها ولكن هذا الأخير لم يكن من رايهم فقد أشار عليهم بابلاغ البوليس بشكوكهم خشية أن يفر الجانى أو الجناة قبل أن يستطيعوا جمع الأدلة ضدهم وكان لهذا الرأى وجاهته فذهبوا جميعا وأفضوا الى القاضى لامبرت بمعلوماتهم وما يساورهم من شكوك واشتباه فى رواية كاترين هايز »

اخذ القاضى فى دراسة التحقيقات الأولية التى اجراها البوليس فى هذا الحادث ورآى انه توجد شبهة قوية ضد كاترين وتوماس بلنجر وتوماس وود ومسز سبرنجيت وكانوا جميعا قد سئلوا امام البوليس. الأولى باعتبار انها زوجة هايز والثانى والثالث باعتبارهما يعيشان معه فى منزل واحد والرابعة لانها جارة كاترين .

اصدر القاضى امره بالقبض عليهم وتولى بنفسه ومعه رجال البوليس تنفيذ الأمر وذهبوا الى منزل كاترين فى الساعة التاسعة مساء .

قرع القاضى باب المنزل فصاحت كاترين من الداخل « من القادم » رد عليها القاضى ان « افتحى الباب باسم القانون » ودخل ومن معه حيث شاهد « توماس بلنجر » جالسا على السرير عارى القدمين وليس عليه

---

(١) كانت عقوبة قاطع الطريق فى القرن الثامن عشر فى انجلترا هى الأعدام شنقا.

من الملابس سوى قميص النوم سأله عن سبب وجوده بهـــذا الوضع الشـــاذ فأجابت كاترين « ان » بلنجر « يرتق جـواربه » فـرد القاضى ساخرا .

لابد ان يكون حاد النظر لدرجة كبيرة اذ يستطيع رتق جواربه فى هذا الظلام الحالك .

سيق المتهمون الى السجن واخذ القاضى فى استجواب كل منهم على انفراد كما اصدر امره بالبحث عن توماس وود الذى لم يكن موجودا بمنزل كاترين وقت القبض عليها .

بدىء باستجواب كاترين فطلبت من القاضى أن يسمح لها بمعاينـــة الرأس التى عثر عليها مرة اخرى فاستجاب لطلبها وما أن شاهدتها حتى اخذت فى النحيب وصاحت قائلة « هى راس زوجى ولا شك » . وعندئذ قال لها طبيب القرية سوف أخرجها لك من الكحول حتى تتمـــكنى من فحصها بامعان .. احتضنت كاترين الراس وأخذت تغمرها بالقبـــلات وتربت على شعرها فى حنان ثم صاحت مؤكدة مرة اخرى بأنهـــا راس زوجها « هايز » وسقطت على الأرض متظاهرة بالاغماء .

اعيدت كاترين الى السجن فى انتظار تحسن حالتها حتى يستطيع القاضى الاستمرار فى استجوابها .

فى صباح اليوم الذى كان القاضى لامبرت مشغولا فى اســـتجواب كاترين كان أحد المسافرين ومعه خادمة يسيران فى المزارع خارج البلدة ولفت نظرهما شىء ملقى فى حفرة فتقدما نحوه وبفحصـــــه وجد انه اجزاء مختلفة من جثة آدمى ينقصها الرأس فأسرعا بالابلاغ .

وعندما عادت كاترين الى صوابها أخذ القاضى لامبرت فى استكمال استجوابها فقالت انها لا تعلم كيف قتل وأصرت على هذا القول .

وكان توماس وود الذى لم يقبض عليه مع الباقين ولا يعلم شيئا عن الأمر الصادر ضده بالقبض عليه قد عاد الى منـــزل كاترين حيث قبض عليه وسئل فانكر علمه بأى شىء ولكن القاضى قال له « لاداعى للانكـــار فقد عثر على باقى الجثة وقبض على كاترين وبلنجر » .

ظن وود أن كاترين وبلنجز قد اعترفا فرأى أن يدلى الى القاضى بما حصل على أمل أن يعتبر عند نظر الدعوى « شاهد ملك » فينجـو من العقاب ــ وروى للقاضى كيف اتفق ثلاثتهم كاترين وبلنجز وود على قتل هايز فذبحوه فى منزله ــ كما اعترف أيضا وود ــ اما كاترين فقد أصرت

على الانكار . وافرج القاضي عن مسز سبرنجيت التى اتضح ان لايد لها فى الحادث .

وظهر من التحقيقات التى اجريت فى هذه القضية أمام محكمة الجنايات وقت المحاكمة الحقائق التالية :

ولدت كاترين بمدينة برمنجهام وكانت ابنة عامل فقير وظلت تقيم مع والديها الى ان بلغت الخامسة عشرة من عمرها حيث تركت المنزل اثر مشاجرة بينها وبين والدتها وقصدت لندن للبحث عن عمل هناك .

قابلت فى طريقها الى لندن بعض ضباط الجيش الماجنين اخذوا فى مغازلتها واستجابت لهذا الغزل فدعوها الى ان تقضى معهم أياما فى منزلهم فقبلت . وظلت فى ضيافتهم عدة اسابيع تمرح معهم ما شاء لها المرح وكانت كاترين على جانب غير قليل من الجمال والذكاء وخفة الروح ..

ولكن لم يلبث حالها مع هؤلاء الضباط ان تغير فطردوها من المنزل وعملت بعد رحيلها خادما عن اسرة مزارع طيب يقيم بالقرب من لندن وكان هذا المزارع هو والد زوجها توماس هايز .

وقع توماس فى غرام الخادمة كاترين فتزوجها خفية عن والده ورحل بها بعيدا ولكن الوالد اكتشف الأمر ورضخ للواقع وبارك الزواج ووهب ولده بضعة جنيهات يستعين بها على صلاح حاله .

كانت كاترين محبة للتجوال فلم تكن تطيق البقاء فى مكان واحد مدة طويلة فألحت على زوجها ان يتطوع فى الجيش واستجاب لها ورحلت فرقته الى جزر « وايت » ولحقت به كاترين الى هناك . ولكن الزوج مل الخدمة فى الجيش فعاد الى بلده وأجرى عليه والده معاشا سنويا .

كان توماس هايز شابا قويم الخلق أمينا وفيا لزوجته وفاء لا حد له لايدخر وسعا فى اسعادها وتلبية جميع رغباتها أما كاترين فقد كانت على النقيض تحمل بين جنبيها نفسا شريرة ، عديمة الوفاء ، لا تقيم وزنا للأخلاق الحميدة وطالما اشتكت لأصحابها من زوجها فكانت ترميه بالبخل الشديد وضعة الأخلاق كما أنها لم تكن محبوبة من جيرانها كثيرة الشجار معهم لاتفه الأسباب وكان هايز (الأب) يعتصره الألم لحالة ولده اذ لم يكن راضيا عن كاترين فنصحه بأن يهجرها ولكن الابن لم يمتثل لنصحه بل اخذ زوجته بناء على رغبتها والحاحها وسافرا الى لندن وكان قد مضى على زواجهما قرابة ستة اعوام .

أشتغل هايز بلندن سمسارا للعقارات وافتتح محلا للتجارة ورغم حسن معاملته لزوجته فانها لم تقابل هذه المعاملة الا بالاساءة اليه ـ وكثرت حوادث شجارها مع الجيران ـ كماكان خداعها لا حد له اذ كانت تتظاهر امام اصحابها بأنها ضحية زوجها وصرحت امامهن بأن قتل روجها لا يساوى فى نظرها أكثر من قتل أى كلب مسنعور !!

ولما كثرت حوادث شجارها ضاق الرجل ذرعا بها ورأى ان يترك الحى الذى يقطن به الى مكان آخر ولكنه لم يوفق فى تجارته فى هذا الحى فانتقل مرة أخرى الى حى آخر واستأجر مسكنا مكونا من عدة حجرات كان يؤجر بعضها للناس .

ظهر على مسرح القضية وقتئذ توماس بلنجز « المتهم الثانى » اذ استأجر غرفة بمنزل « هايز » ولم يكن بلنجز هذا سوى ابن غير شرعى لكاترين حملت فيه سفاحا من احد الضباط الذين عاشرتهم قبل زواجها من هايز .

كان « هايز » يسافر من وقت لآخر سعيا وراء معيشته ووصل الى علمه بعد عودته من السفر ان زوجته وبلنجز يترددان معا على حانات الحى ويعودان الى المنزل مخمورين فتشاجر مع زوجته لهذا السبب وتبادلا اللطمات .

عندئذ صح عزم كاترين على ان تتخلص من زوجها بأية طريقة بازهاق روحه واخذت تعد العدة لذلك .

بدات فى « جس نبض » « بلنجز » المقيم معها فى المنزل فشكت اليه انها ضاقت ذرعا بهذا الزوج القاسى وتوسلت اليه أن يساعدها فى الخلاص منه .

تردد بلنجز أولا ثم ما لبث ان وعدها بذلك (ويلاحظ ان بلنجز هذا هو الذى قيل انه الابن غير الشرعى لكاترين) .

اما توماس وود (المتهم الثالث) فقد كان صديقا لهايز استأجر غرفة بمنزله واختبأ فيها هربا من الخدمة العسكرية .

بلغت الجراة بكاترين ان فاتحت « وود » فيما اعتزمت عليه وطلبت مساعدته أيضا .. وقد أصاب وود الذهول ورفض بتاتا تقديم يد المساعدة لها رغم توسلها والحاحها ولكنها لم تتراجع ، بل ظلت تحاول اقناعه بشتى الوسائل ونسبت الى زوجها انه رجل ملحد لا دين له ولا عقيدة وانه قاتل ارتكب جريمة فى بدء زواجهما اذ قتل رجلا وأطفاله اثناء وجودهم بالمزارع ودفنهم جميعا بيديه .

ولكن وود لم يتحول قيد أنملة عن موقفه ورفض رفضا باتا معاونتها فى مثل هذه الجريمة البشعة .

لجأت كاترين بعد ذلك الى اغرائه بالمال فعرضت عليه أنتعطيه ١٥٠٠ جنيها تؤول اليها بالوراثة من زوجها بعد وفاته اذا ساعدها فى تنفيذ الجريمة ويظهر أن هذا المبلغ الضخم قد جعل الرجـل يتحول عن موقفه فوافق على الاشتراك معها ومع بلنجز فى قتل هايز .

وفى الليلة التالية جلس ثلاثتهم مع « هايز » يحتسـون الشراب وكانوا قد اتفقوا على ان يقدموا لهايز اكبر كمية ممكنة من الخمـر حتى يغيب عن صوابه وكلما شرب زجاجة قالوا هازئين لن تستطيع احتساء زجاجة أخرى وصور له السكر أن يتحداهم فجعل يحتسى الزجاجة تلو الزجاجة حتى سقط فاقد الوعى .

وبذلك أسدل الستار على الحلقة الأولى من هذه المأساة وبدأ الجناة فى تنفيذ الحلقة الثانية منها فنقلوا هايز الى غرفة النوم وطرحوه أرضا واحضر بلنجز بلطة كان قد أعدها لهذا الفرض ضرب بها عنق هايز عدة ضربات حتى فصل الرأس عن الجسد وسالت الدماء أنهارا على ارضـية الغرفة واخذت كاترين فى ازالتها .

كانت هذه الضجة قد ازعجت مسز سيرجنت التى تقطن فى الدور العلوى من المنزل فخرجت مستفسرة عنهـا واسرعت اليهـا كاترين واخبرتها ان ضيوفا عندها قد استبد بهم السكر وانهم سيغادرون المنزل بعد قليل .

أخذ الجناة الثلاثة يفكرون فى الطريقة التى يتخلصون بها من الجثة واتفقوا على أن يخفوا الرأس فى دلو « جردل » أعدوه لهذا الفرض وان يلقيها بلنجز وود فى النهر ــ اما باقى الجسد فيلف فى بطانية ويلقى فى المزارع بعيدا عن المنزل .

واقترحت كاترين أن يقوموا بوضع الرأس فى اناء به ماء عـلى النار حتى تغلى وتتغير ملامحها ولكن هذا الاقتراح لم يصادف قبـولا من الشريكين .

اخذ بلنجز الرأس بعد وضعها فى الدلو واخفائها تحت معطفه وهبط سلم المنزل هو وورد واستلفت وقع اقدامهما نظر المسز سيرجنت ففتحت باب مسكنها مستفسرة فأجابتها كاترين بهـدوء تام « هو زوجى فى طريقه الى السفر » وتظاهرت بانها تقبل شخصا ما قبلة الوداع .

ذهب الشقيان بالجردل الى النهر حيث القيا بالراس فى الميـــاه وتركا الجردل على الشاطىء ، وعادا الى المنزل حيث اخذا باقى الجثة واخفوها فى المزارع .

هــذه الطريقة الوحشــية التى ارتكبت بهــا الجـريمة وقد رواها وود وبلنجز بالتفصيل اما كاترين فأصرت على الانكار ولم تأبه المحــكمة لذلك فقضت على كاترين بالاعدام حرقا وعلى زميليها بالاعدام شنقا .

ومن الجدير بالذكر أن توماس وود توفى فى السجن قبل تنفيـــذ حكم الاعدام اما كاترين فقد حاولت الانتحار ولكنها لم توفق .

وقد شاهد اعدام كاترين هايز وتوماس بلنجز الآلاف من النـــاس وانتشر فى ساحة الاعدام عدد كبير من رجال البوليس الراكب للمحافظة على النظام .

وصلت كاترين الى الساحة وقد قيدت يداها بقيودحديدية وشدت الى وتد فى وسط الساحة ووضع حولها كمية كبيرة من الحطب اشــعل الجلاد فيها النيران وكانت تصرخ صرخات هستيرية وكلما ازدادصراخها القى الجلاد عليها كمية اخرى من الحطب فاندلعت النيران حولها من كل مكان ولما خمدت كان جسمها قد احترق تماما .

اما توماس بلنجز الابن المزعوم فقد اعدم بعدها بلحظات فى المكان الذى عثر فيه على راس هايز المسكين .

وهكذا أسدل الستار على جريمة كانت حديث الناس مدة طويلة .

١١ ـ مدام تيكيه
الفرنسية القاتلة

أهم الشخصيات :

- **المسيو تيكيه**

المستشار بمجلس النواب الفرنسى بباريس .

- **انجليكا كارلتيه تيكيه**

زوجة (المتهم الأولى) .

- **اوجستوس كاتلان**

شقى فرنسى (المتهم الثانى) .

- **جيمس مورا**

بواب منزل المسيو تيكيه (المتهم الثالث) .

- **الزمن سنة ١٦٩٩**

تحدثنا فى الفصل السابق عن محاكمة « كاترين هايز » الانجليزية لقتلها مع آخرين زوجها توماس هايز الطيب القلب بطريقة وحشية ترتعد لهولها الابدان والآن نروى تفاصيل جريمة اخرى وهى وان كانت اقل بشاعة بكثير من سابقتها الا انها تظهر ما انطوت عليه نفس المتهمة ـ مدام تيكيه ـ من خبث وبشاعة التهمة التى وجهت اليها هى انها بطريق الاتفاق والمساعدة شرعت مع آخرين فى قتل زوجها وخاب اثر هذه الجريمة لسبب خارج عن ارادتها وهو اسعاف المجنى عليه بالعلاج ـ ومع ذلك قضت المحكمة باعدامها .

كانت ـ مدام تيكيه ـ تدعى قبل زواجها « انجليكا كارلبيه » وهى فرنسية ولدت بمدينة متز بفرنسا من أب على شىء غير قليل من الثراء وذلك فى عام ١٦٦٧ ـ وكانت على جانب موفور من الجمال والرشاقة .

توفى والدها وهى فى الخامسة عشرة من عمرها تاركا لها ثروة تقدر بالنقد الانجليزى بحوالى عشرين الفا من الجنيهات .

ولا شك أن جمالها وثروتها كانت محط أنظار الكثيرين فتهافت الشبان على طلب يدها ولكنها لم تستقر على اختيار أحد منهم . تعرف المسيو تيكيه (المجنى عليه فى القضية) المستشار بمجلس النواب الفرنسى فى باريس على الآنسة كارلبيه فأعجب بجمالها ورقة حديثها وحسن مظهرها كما خلت لبه أيضا ثراؤها فأخذ يفكر فى أن يتخذها زوجة له ولكن انى له ذلك وفارق السن بينهما كبير ؟؟ ولكن مركزة فى الهيئة الاجتماعية كان أكبر حافز له على التقدم وطلب يدها واستعان فى سبيل الوصول الى ما يريد بعمة لها رقيقة الحال فوعدها بأن يمنحها أربعة آلاف جنيها ذهبيا عدا ونقدا اذا نجحت فى استمالة قلبها اليه .

كان جمال الآنسة « كارلبيه » قد طغى على أفكار المسيو تيكيه فلم يفطن الى انه جمال ظاهرى فقط وانها كانت غريبة الأطوار ، سيئة الخلق ، الى حد كبير ، شريرة الطبع قاسية الفؤاد .

اخذ فى تقديم الهدايا الثمينة اليها حتى انه اهداها بمناسبة عيد ميلادها باقة من الورود الجميلة رشق بها حلية ماسية ثمنها ستمائة وخمسة وعشرون جنيها وهو مبلغ لا يستهان به وقتذاك .

اخذت العمة ـ طمعا فى المكافأة التى وعدها بها المسيو تيكيه ـ تتحدث الى الآنسة كارلبيه عن فضائله ومركزه الاجتماعى الخطير وثروته الواسعة حتى نجحت فى ان تلفت نظرها اليه بصفة جدية .

وكانت كارلييه رغم ثروتها يستهويها الى حد كبـــير بريق الذهب وقدرت ثروة تيكيه تقديرا فيه كثير من المبالغة وقبلت أخيرا الزواج منه وذلك طمعا فى ماله وليس حبا لشخصه .

وما كاد أن يتم هذا الزواج حتى تكشف لها انها اخطأت فى تقـدير ثروة زوجها اذ لم يكن على هذا القدر الكبير من الغنى كمـــا كانت تظن ولكن كان السهم قد نفذ ورضخت للأمر الواقع على مضض .

كانت مدام تيكيه بعد زواجها تستمتع بحياتها كما تشاء ـ تبعثـر المال يمينا وشمالا بدون حساب حتى ضج زوجها من هذا الاسراف الذى لا نهاية له كما كانت قليلة الاهتمام به اذ بينما تميل الى الحفـــلات الصاخبة والرقص والمجون كان هو أى ـ المسيو تيكيه ـ قليل الاختلاط بالناس ميالا الى العزلة والانفراد . فلا عجب اذا أصبحت الحياة بينهما غير مستساغة .

ورغما من ذلك فقد حاول تيكيه جهده أن يصلح من خلق زوجته وأن يقوم ما أعوج من سلوكها خاصة بعد أن رزق منها بطفلين ـ ابن وابنة ـ ولكنه لم ينجح بل استمرت مدام تيكية على ما اعتادت عليه من اسراف وتبذير ومعاشرة أهل السوء .

وليت الأمر اقتصر على هذا فقط بل انها جاوزت كل حد وفرطت فى شرفها وسمعتها فاتخذت من الكابتن مون جورج احد ضباط الحـرس الملكى عشيقا لها وكانت تتظاهر امام الناس بالعفة والطهارة مع انها فى الواقع لم تكن سوى حشرة سامة .

رأى تيكيه ان اسراف زوجته قد أوقعه فى مآزق مالية خطيرة وكثر عدد دائنيه فاضطر أخيرا الى حبس ماله عنها . حنقت مدام تيكيه لذلك اشد الحنق . وحقدت عليه حقدا لا حد له اذ أنها لم تتزوجه الا لثروته وما دام قد حبس عنها هذه الثروة فما هى الفائدة التى تعود عليهـا ـ فى نظرها ـ من الاستمرار فى المعيشة معه تحت سقف واحد .

وزاد الطين بلة أن المسيو تيكيه ـ وقد لاحظ اعوجاج خلق زوجته وسوء سلوكها ـ قد أطلق خلفها جيشا من الجواسيس لمراقبة حركاتها واخباره بها .

ضاقت مدام تيكيه ذرعا بزوجها وأوحت اليها قريحتهـا المريضة ونفسها الشريرةان الخلاص منه بأية وسيلة هو خير السبل لراحتها .

لجأت فى ذلك الى شـقى يدعى « اوجســتوس كاتلان » فوعدها بتنفيذ ما تريد نظير مبلغ معين من المال ـ كما كاشفت بهذا الأمر بواب

منزلها فوافق على الاشتراك مع كاتلان فى الخلاص من المسيو تيكيه وبناء على هذا الاتفاق كمنا له فى الطريق عند عودته الى منزله ليلا ولكن الخطة التى رسمها لم تنجح وبذلك فشلت المؤامرة الأولى للاعتداء على حياة تيكيه .

تظاهرت مدام تيكيه ــ انها عدلت عن فكرتها ومنحت كاتلان والبواب مبلغا من المال اقتسماه معا بعد أن أخذت منهما وعدا بعدم افشاء هذا السر لكائن من كان .

كان المسيو تيكيه لا يثق فى بواب منزله وكان يعتقد أن زوجته تتخذ منه رسولا لتوصيل خطاباتها الى عشيقها الكابتن مون جورج فطرده من المنزل ولم يستخدم بوابا آخر بل كان يقوم بنفسه باغلاق الأبواب الخارجية فى المساء كما كان يغلق باب غرفته بالمفتاح عند ذهابه للنوم ويحتفظ بالمفاتيح كلها تحت وسادة نومه .

ظل الزوجان على هذه الحال مدة ثلاثة سنوات وهما يقيمان كل فى مخدع خاص ولا يلتقيان الا على مائدة الطعام ولا يتبادلان معا اى حديث .

اصبحت الحياة فى نظر ــ مدام تيكيه ــ لا تطاق وخصوصا بعد أن ضيق زوجها عليها الخناق من كل الجهات فقد منع عنها المال واطلق خلفها الجواسيس وطرد الخادم الذى كان محلا لثقتها وكاتما لأسرارها. رات انه لابد لها من الخلاص منه بأية طريقة . فى يوم ما وضعت له سما فى كأس شراب وامرت احد الخدم بتقديمه اليه ولكن لحسن طالع الزوج تعثر الخادم وهو يحمل الاناء أثناء سيره فوقع منه وسال الشراب على الأرض وبذلك أخفقت الخطة الثانيةالتى رسمتها هذه الزوجة الشقية .

أخذت ــ مدام تيكيه ــ تتخبط فى أفكارها الى أن استقر بها الأمر على أن تلجأ مرة اخرى الى كاتلان وبواب منزلها القديم وطلبت اليهما أن يفكرا فى طريقة للخلاص من زوجها فأظهرا استعدادهما التام لتنفيذ ما تريد وطلبا منها مهلة للتفكير حتى يكون النجاح حليفهما هذه المرة .

ولأجل أن تبعد الظنون عنها اذا نجح المتآمران فى الخطة كانت تمهد لذلك بأحاديث مع صاحباتها . ففى احدى الليالى كانت مدعوة لتناول العشاء بمنزل الكونتيس دونوى وفى أثناء تناول الطعام قالت للحاضرات من السيدات « لقد أمضيت اليوم ساعة مع الشيطان » ولما استفسرت المدعوات منها عما تقصد أجابت :

« كنت اليوم عند عرافة تكشف عن الماضى والحاضر والمستقبل ».
فطلبن منها أن تخبرهن عما قالت العرافة فأجابت :

« لقد أكدت لى اننى سأتخلص من جميع اعدائى خلال شهرين من اليوم واننى سأعيش عيشة سعيدة هادئة فى المستقبل لا يشوبها شائب » .

ثم اضافت وهى تتظاهر بالحزن « اننى لا اصدق نبوءة هذه الغجرية .. وانى لى الحياة السعيدة التى تبشرنى بها وزوجى لايزال على قيد الحياة .. فأنتن تعلمن جميعا سوء معاملته لى ..

كانت ــ مدام تيكيه ــ قد اختلقت هذه الرواية اختلاقا وروتها لصديقاتها ذرا للرماد فى العيون اذ فى هذه اللحظة بالذات التى كانت تروى فيها روايتها الكاذبة حصل الاعتداء على زوجها وكاد يلقى حتفه لولا لطف الله اذ أطلق عليه عدة طلقات نارية بالقرب من منزله ولم تصبه سوى طلقة واحدة باصابة غير قاتلة وأسرع الناس عند سماعهم للطلقات الى نجدته فطلب منهم أن يأخذوه الى منزل صديق له مجاور لمنزله .ولما علمت مدام تيكيه بالحادث أسرعت الى هناك .

ابلغ الأمر للبوليس فتولى التحقيق فيه وسئل المسيو تيكيه عن من يتهم فقال « ليس لى اعداء سوى زوجتى وهى التى اتهمها ولا أحد غيرها » .

لم تكن أقوال تيكيه وحدها كافية لالقاء القبض على الزوجة وأخذ البوليس يتحرى عن الأمر .

وبعد وقوع هذا الحادث بيومين كانت ــ مدام تيكيه ــ تتناول العشاء بمنزل صديقتها الكونتيس دونوى وسألتها عما اذا كان البوليس لم يوفق بعد لمعرفة الفاعل فأجابت سلبا .

أضافت الكونتيس « ربما يكون للبواب القديم يد فيه . اذ ان المسيو تيكيه لم يكن راضيا عنه تمام الرضا » .

وكانت مدام تيكيه اثناء هذا الحديث رابطة الجأش فلم تضطرب لذكر البواب .

فى هذه الأثناء كان البوليس يقوم بتحرياته فى الحادث وتوصل فعلا الى معرفة الجناة . وفى أحد الأيام فوجئت الزوجة بقدوم الضابط « ديفيتا » قومسيير البوليس لمنزلها ومعه أمر بالقبض عليها .. لم يظهر عليها أى شىء يدل على الخوف أو الاضطراب بل استسلمت لأمر الضابط دون مقاومة أو احتجاج أو اعتراض وكان ابنها وهو غلام فى التاسعة

من عمره يقف بجوارها فعانقته بحرارة ورافقت الضابط الى قسم البوليس وهناك ووجهت بأجستوس كاتلان « الشريك الأول وكان قد افضى للمحققين بمعلوماته على المؤامرة وأن مدام تيكيه اتفقت معه ومع بواب المنزل القديم « جيمس مورا » على أن يقوما بقتل زوجها بالطريقة التى تتراءى لهما فتربصا له عند عودته الى منزله ليلا واطلقا عليه الرصاص .

بعد ذلك بأيام قبض على البواب « جيمس مورا » .

نظرت القضية أمام محكمة الجنايات فقضت على مدام تيكيه والبواب جيمس مورا بالاعدام شنقا .

اما أوجستوس كاتلان فقد استعملت معه المحكمة الرافة نظرا لاعترافه فقضت عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة .

والى القارىء حيثيات هذا الحكم :

« من حيث انه قد ثبت لهذه المحكمة من التحقيقات التى تمت فى القضية ومن اعتراف المتهم كاتلان التفصيلى فى التحقيق وبجلسات المحاكمة ان المتهمة الأولى انجليكا كارلييه زوجة المجنى عليه المسيوتيكيه لخلاف وقع بينهما وبين زوجها المذكور حقدت عليه حقدا جعلتها تفكر فى ازهاق روحه . فاتفقت مع بواب منزلها القديم جيمس مورا ومع شقى آخر هو اوجستوس كاتلان على قتله بعد ان اغرتهما بالمال ثم تدبرت الأمر معهما واتفقوا جميعا على ان يكمن له مورا وكاتلان فى الطريق ويطلقا عليه الرصاص .

وحيث ان المتهمين مورا وكاتلان نفذا هذا الاتفاق فأطلقا على المجنى عليه عدة أعيرة نارية من مسدسين كانا قد اعداهما لهذا الفرض فسقط على الأرض وأصيب بجروح فى جسمه ولكنه اسعف بالعلاج .

« وحيث ان هذا الذى شرحناه آنفا قد ثبت للمحكمة من اعتراف المتهم كاتلان فى التحقيقات الأولية وبالجلسة .

ولذلك فان المحكمة تأمر بما يأتى :

أولا ــ اعدام المتهمة الأولى انجليكا كارلييه وذلك بفصل رقبتها عن جسدها بمقصلة تقام لهذا الفرض بميدان ده جريف .

ثانيا ــ اعدام المتهم الثانى جيمس مورا شنقا .

ثالثا ــ مصادرة أموال كل منهما لصالح صاحب الجلالة الملك على ان يدفع منها مبلغ مائة الف فرنك الى المسيو تيكيه المجنى عليه تعويضا له لاستثمارها فى حياته وتئول بعد وفاته لولديه .

رابعا – على رجال السلطة التنفيذية قبل تنفيذ هذا الحكم أن يضعا كارليبيه وموروا تحت التعذيب العادى وغير العادى املا فى الحصول منهما على اعتراف .

خامسا – بالسجن المؤبد مدى الحياة على المتهم أوجستوس كاتلان.

صدر هذا الحكم وتلى علنا فى ١٧ من شهر سنة ١٦٩٩ .

وهذه صورة طبق الأصل من الأحكام الجنائية التى كانت تصدر من محاكم الجنايات فى ذلك العصر .

ما ان علم المسيو تيكيه بهذا الحكم حتى تصرف تصرفا يدل على طيبة قلبه وتسامحه فقد التمس مقابلة الملك واصطحب معه ابنه وابنته ودافع عن زوجته دفاعا حارا فقد ركع تحت قدمى الملك ملتمسا العفو عنها وقال فى يأس قاتل :

« مولاى . ان الله يغفر الذنوب جميعها واننى المجنى عليه فى هذه القضية قد غفرت وصفحت عنها طالبا لها الهداية فى مستقبل ايامها . ان ولدى فى حاجة الى حنانها وها هما يرفعان ايديهما البريئة الى جلالتك طالبين الرحمة وكفى ما لقيته من عذاب وتأنيب ضمير تكفيرا لها عن خطيئتها . »

« مولاى . انك اذا عاقبت مجرما فلا تعاقب معه بريئا وأولادى أبرياء وموت والدتهما فيه عذاب شديد لهما » .

ولكن الملك لم تهز مشاعره هذا الالتماس فصرف المسيو تيكيه بلباقة ورأى ان يعدل فى الحكم من ناحية مصادرة أموال المتهمة فجعل هذه المصادرة لصالح زوجها وولديها .

ويظهر ان المسيو تيكية اكتفى بهذا التعديل فلم يحرك ساكنا بعد ذلك وكان لمدام تيكيه شقيق يعمل ضابطا فى الحرس مع عشيقها الكابتن مون جورج وقد حاولا جهدهما الشقيق والعشيق لانقاذها فكلفا أشهر محام فى ذلك العهد بتقديم التماس الى الملك بعد ان علما برفض الالتماس الذى قدمه الزوج وقد كاد الملك يغير من رأيه ويقبل الالتماس لولا أن تدخل فى آخر لحظة كبير الأساقفة « ده نواى » الذى رقى بعد ذلك الى منصب الكردينال – وقابل الملك مقابلة طويلة أقنعه فيها بأنه لا محل لرحمة جلالته مع مثل هذه المتهمة وأن العفو عنها والصفح عن جريمتها يزعج كثيرا جميع الأزواج !! وأن فى قبول الملك للالتماس تشجيع للنساء على التخلص من أزواجهن !! وزاد كبير الأساقفة فقال للملك

« مولای .. ان كثيرا من النساء يعترفن للقسس انهن كن على وشك قتل ازواجهن » .

حسمت هذه الأقوال النزاع فرفض الملك الالتماس وأمر بتنفيذ الحكم .

قاد الحراس المتهمة الى « غرفة التعذيب » وقد سألت احدهم وهى فى الطريق اليها « الى أين تذهبون بى » فأجابها « سوف تعرفين بعد قليل » .

ثم تقدم القسيس ناحيتها محاولا التحدث اليها وهدايتها قبل توقيع العذاب عليها ولكنها رفضت الاستماع اليه .

وجاء بعد ذلك احد القضاة وتلى عليها نص الحكم الصادر ضدها فلم يظهر عليها أثناء هذه التلاوة اى اضطراب بل ظلت على ما هى عليه من هدوء .

وعقب تلاوة الحكم خاطبها قائلا :

« لقد استمعت الى الحكم الصادر ضدك والذى كان نتيجة لما ارتكبت من آثام فقد كنت يا سيدتى فيما مضى فى بحبوحة من العيش ولم يكن ينقصك شيئا من مسرات الحياة وبهجتها . انظرى الى موقفك الآن فلقد سقطت الى الحضيض » .

« ما أكبر الفارق بين موقفك الآن وما كنت فيه من نعيم فأنت اليوم تمرين بأشأم يوم فى حياتك . وأنت بحاجة ملحة الى أن تستجمعى كل شجاعتك حتى تستطيعى احتمال شرب هذا الكأس المرير . ان هذا الكأس ولو أنه شديد المرارة الا ان فيه راحتك الأبدية وتمثلى الآن بقول عيسى عليه السلام « سوف أشرب بشجاعة الكأس التى فيها خلاصى » .

« اطلبى من المولى ان يرحمك فهو وحده القادر على ذلك وليكن موتك الآن سبيلا الى حياة أخرى أكثر طهارة وعفة » .

ومن غريب الصدف ان هذا القاضى الذى قام بتلاوة الحكم عليها كان أحد خطابها السابقين . نظرت اليه وعلى شفتيها ابتسامة مريرة وحدثته قائلة « ما أعجب موقفك اليوم منى من موقفى منك بالأمس . فبالأمس كنت أنت الذى تطلب وترجو اما اليوم فالأمر كله فى يديك .. تأمر وتنهى بما تريد .. ان اليوم الذى تنتهى فيه حياتى سيكون ولاشك آخر أيام آلامى وعذابى .. لقد استمعت الى الحكم وسأبذل قصارى جهدى حتى لا تخور قواى وانا فى طريقى الى نهاية حياتى » .

نصح لها القاضي بالاعتراف بذنبها حتى تنجو من التعذيب فرفضت فى بادىء الأمر ولكنها ما ان نظرت الى آلة التعذيب فى وسـط الغرفة حتى خارت قواها واعترفت بجريمتها .

سئلت هل كان للكابتن مون جورج عشيقها يد فى المؤامرة فأجابت سلبا واضافت هذه الكلمات « لو كنت اخبرته بها لفقدت كل احترام كان يكنه لى الى الأبد » .

وأوصت الحاضرين أن يلتمسوا لها عند زوجها الصفح والمغفرة .

صعدت المراة التعسة الى منصة الاعدام وعليها ثوب طويل ناصـع البياض وكان جمالها يلفت النظر وصعد خلفها البواب شريكها فى الجريمة وكانت لا تكاد تقوى على مواجهة الأنظار المتطلعة اليها — وسار خلفهـا قسيـسان .

اقترب منها البواب وسألها ان تصفح عنه لأن اعترافه كان السبب فى الحكم عليها ولكنها اجابته بحزم « انك تهذى يا رجل .. فأنا الملومة فى كل ما حصل وانا التى حرضتك على ارتكاب هذه الجريمة فأنا التى أتسبب فى اعدامك الآن . »

كان يخيل لمن يشاهد ساحة الاعدام حينذاك ان كل من بالمدينة من الناس قد تجمعوا فى الساحة فقد غصت شرفات المنازل بالمشـاهدين وعند صعود المتهمة الى المنصة ردد صوت الرعد فى جنبات السماء وأبرق البرق وهطل المطر مدرارا حتى اوقف التنفيذ حتى تهدأ ثورة الطبيعة .

وكان بجوار المنصة عربة سوداء يقودها حصان أسود أعدت لنقـل الجثة بعد اعدامها الى المقبرة .

نفذ الحكم أولا على البواب على مرآى من « مدام تيكيـه » ولما جاء دورها فى التنفيذ لم تكن أعصاب الجلاد هادئة تماما فقد هوى بالبلطة مرات ومرات على عنقها قبل أن يستطيع فصلها عن الجسد .

وارتفعت أصوات البكاء من كل جانب فقد كان جمال المتهمة باهرا كما كان لثوبها الأبيض الناصع الذى ترتديه تأثير كبير على المشـاهدين حتى خيل اليهم انها قديسة فى طريق صعودها الى السماء لا مجـرمة تلقى جزاءا وفاقا لما قدمت يداها .

وفى اللحظة التى نفذ فيها هذا الحكم كان بحديقة فرسـاى رجل شاحب الوجه محنى الظهر يتعثر فى خطاه وقد استغرق فى أفكاره ولم يكن هذا الرجل سوى الكابتن مون جورج عشيق المجـــرمة .. مدام تيكيه » .



« الدوق مونموث »

١٢ ـ محاكمة الدوق جيمس مونموث الابن غير الشرعى للملك شارل الثانى ملك انجلترا والمطالب بالعرش

أهم الشخصيات :

- **الملك شارل الثانى :**
ملك انجلترا
- **الدوق مونموث :**
ابن غير شرعى للملك شارل الثانى والمطالب بعرش أبيه .
- **الملك جيمس الثانى :**
ارتقى الى العرش بعد وفاة اخيه الملك شارل الثانى .
- **اللورد ففر شام :**
قائد جيوش الملك جيمس .
- **لوس وولترز :**
زوجة غير شرعية للملك شارل الثانى .
- **جيمس كيث :**
الجلاد الذى تولى اعدام الدوق مونموث .
- **الليدى هنريناوت وورث :**
عشيقة الدوق مونموث .

توفى الملك شارل الثانى ملك انجلترا وارتقى العرش من بعـده أخوه الملك جميس الثانى . وكان الدوق مونموث الابن غير الشرعى للملـك الراحل يرى أنه أحق بالعرش من عمه فناصبه العداء والب عليه اهالى المقاطعات الواقعة فى الجنوب الغربى من انجلترا الذين كانوا يناصرون الدوق فى دعواه بالمطالبة بالعرش حتى أطلقوا عليه اسم « الملك مونموث » وظلت الحرب سجالا بين الجيشين جيش الملك وجيش الثائرين ضده تحت قيادة الدوق .

وفى ليلة من ليالى شهر فبراير سنة ١٦٨٥ كانت جيوش الدوق قد تحركت بهدوء تام وتحت ستار الظلام من بلدة بروجووتر قاصدين مهاجمة جيوش الملك جيمس المعسكرة ببلدة سدجمور تحت قيادة اللورد ففرشام والدوق ماليرو دون أن يعلم القائدان بأن جيوش الدوق على مقربة منهما .

وفى تلك الليلة وصل الى علم جيش الثوار ان اللورد ففرشام قد سمح للجيش بالاستراحة من عناء الطريق ووزع على الجنود الطعام والشراب بسخاء فعزم الدوق مونموث على الهجوم اثناء راحة الجنود وأخذ العدو على غرة وتحمس لهذه الفكرة التى اختمرت فى راسه تحمسا كبيرا حتى اعتقد أن تاج انجلترا أصبح فوق جبينه وأمر جيشه بالتقدم فى هدوء .

ولكن شاءت الأقدار غير ما تمناه الدوق فقد انطلقت رصاصة طائشة من بندقية أحد جنود جيش الثوار وكانت هذه الطلقة التى دوى صوتها فى هدوء الليل السبب المباشر فى هزيمة هذا الجيش وفقدان الدوق للتاج الذى طالما تمناه بل وفقدانه حياته أيضا .

ولم يعرف من الذى أطلق هذه الرصاصة من جنود جيش الثواروالم يكشف التاريخ عنه ــ وليس لهذا اهمية الآن ــ وانما الذى يهم هو المصير المحزن السىء الذى انتهت به حياة الدوق .

كان جيش الثوار على وشك الانقضاض على جنود الملك جيمس الذين كانوا فى سبات عميق بعد الطعام الذى اكلوه والخمر التىشربوها ولكن صوت الرصاصة الطائشة التى انطلقت عفوا فى هدوء الليل وسكونه نبهت الحراس الى اقتراب جيش الدوق منهم وسرعان ما قام

الجنود من سباتهم بعد ان دقت الطبول ونفخ فى الأبواق فاستعدوا للقاء العدو .

امر الدوق رجاله بالهجوم واطلاق النار وبالتقدم صوب العدو فى الوقت نفسه ولكن الجنود فوجئوا بوجود خندق عميق بينهم وبين جيش الملك جيمس يعوق هذا التقدم .. صاح الحراس بالقادمين «من هناك» فلما اجابوا بأنهم جيش الدوق مونموث اطلقوا النيران نحوهم وظل الجيشان يتبادلان اطلاق النارة لمدة قاربت من الساعة لم يستطع فيها جيش الثوار التقدم وذلك لوجود الخندق بينهم وبين جيش الملك وقد اسفرت هذه المعركة عن هزيمة جيش الثوار هزيمة نكراء لم تقم لهم من بعدها قائمة .

وما أن شعر الدوق بأن هزيمة جيشه أصبحت محققة حتى أسرع بالفرار على ظهر جواده تاركا ضباطه وجنوده لمصيرهم السىء ويقول المؤرخون انه رغم فرار الدوق فان جنوده حاربوا بشجاعة عظيمة ولكنها لم تجدهم نفعا وهذه هى الموقعة التى تعرف فى تاريخ انجلترا بموقعة سدجمور .

أما ما كان من امر الدوق فقد وصل هاربا الى ميناء نيوفورست بغية اللحاق بسفينة هناك تنقله الى خارج انجلترا وكان قد سمع وهو فى الطريق بالهزيمة الساحقة التى لحقت جيشه فتنكر فى ملابس فلاح قابله فى الطريق وتبادل معه ملابسه وكان قد شحب لونه من الخوف والجوع فكان يرتعد ارتعادا واضحا كما كانت ثيابه قد لوثت بالطين لاضطراره الى قضاء الليل مختفيا عن أعين مطارديه فى حفرة ولسوء حظه داهمه فى ميناء نيوفورست جنود الملك فقبضوا عليه قبل أن يستطيع اللحاق بالسفينة وأخذ تحت الحراسة الشديدة الى لندن ووجد معه عند تفتيشه ساعة ووسام القديس سان جورج وكتابان أحدهما عن الاستحكامات الحربية والآخر يحوى مجموعة من الشعر الألمانى .

ولو كان الملك شارل الثانى على قيد الحياة لأخذته الشفقة بولده المسكين الذى نشأ فى حياته نشأة الأمراء وكان مقربا اليه حبيبا الى قلبه كما كان يغدق عليه بالأموال بغير حساب ومحبوبا من رجال البلاط لوسامته ورقته .. ولم يكن مكروها الا من عمه الدوق اوف يورك والذى ارتقى العرش باسم الملك جيمس الرابع .

روى بعض المؤرخون ان دوق مونموث كان فى الحقيقة ابنا شرعيا للملك شارل الثانى من زوجته لوسى وولترز التى تزوجها زواجا شرعيا اثناء وجوده بالمنفى ورزق منها بابنه . فليس من الغريب على الدوق أن

يعتبر نفسه الوارث الوحيد لعرش ابيه .. فلما ارتقى العرش عمـــه ناصبه العداء وشن عليه الحرب مطالبا بعرشـــه الذى اغتصب منـــه اغتصابا .

كان الدوق مونموث كما ذكرنا وسيما رشيقا ولكنه كان انانيا لا مبدأ له ، على استعداد لأن يحالف الشيطان فى سبيل مصلحته ولو كان منافسه فيها والده نفسه وقد وصفه بعض المؤرخين بأنه كان شجاعا واميـنـــا ولكنهم قد أخطأوا فى ذلك خطأ كبيرا فمما لاشك فيه انه هرب من ساحة القتال بنذالة تاركا رجاله يلاقون مصيرهم السىء وحدهم وهذا يدل على انه كان بعيدا كل البعد على ان يوصف بهاتين الصفتين .

ظهرت اخلاقه على حقيقتها بعد القبض عليه فقد سلك مسلكا مخجلا بعيدا كل البعد عن الرجولة حتى يتوصل الى النجاة براسه من حبـل المشنقة .

توسل الى ذوى الشأن بذلة لا يرضاها لنفسه الا الحقـــير فى أن يمهدوا له السبيل الى مقابلة عمه الملك كما كتب الى الملكة عرائض كثيرة يستعطفها للتدخل فى أمره عند عمه الملك .

كان الملك جيمس قد وطد العزم وصمم على عدم العفــو عن الدوق اذ كان المشهور عن هذا الملك أنه قاسى القلب ينشرح صدره عند مشاهدة المتألمين . ألم يعذب هذا الملك جمعا من أهالى اسكتلنده كان يطلق عليهم اســم « المعاهدين » فكان يكوى أجســامهم بقضيب من الحديد المحمى ويقتلع اظفارهم الأمر الذى يذيب قلب الجماد ولا يستطيع أن يشاهده أشد الناس قسوة دون أن يطبق عينيه فرارا من هذا المنظر المؤلم .

ومع ذلك فقد أذن أخيرا للدوق مونموث بالمقابلة ولكنها لم تسفر عن شىء فى صالح الدوق فقد أعلن الملك بعدها أن مونموث قاتل وثائروخائن وأمر باحالته الى « غرفة العذاب » طبقا للمعمـــول به فى ذلك الوقت ولكنه ما كاد يلج هذه الغرفة حتى اعترف بذنبه ملتمسا العفو عنـــه اكراما لذكرى والده الملك شارل وتعهد بأن يعتنق المذهب الكاثوليكى رغم انه كان برونستانيا متعصبا كما أمضى وثيقة قرر فيها ان والده اكد له قبل وفاته أن لوسى وولترز لم تكن فى يوم من الأيام زوجة شرعية له .

كان الدوق يأمل بعد كل ذلك أن يعفو عنه الملك وقد اسقط فى يده عندما قيل له أن جرائمه على درجة كبيرة من الخطورة لا يمكن معها العفو عنه بحال من الأحوال .

سجن الدوق فى برج لندن ووضع تحت حراســة اللورد دارموث وكان يتوسل اليه والدموع تسيل من مآقيه بأن يحاول مرة اخرى أن

يطلب له الصفح من الملك قائلا « اننى أعلم يا سيدى اللورد انك كنت تحب والدى وتحترمه فأتوسل اليك ــ اكراما لخاطره عندك ــ أن تلتمس من الملك أن يصفح عنى . »

وقد أجابه اللورد بجفاء فقال « ان شخصا يحاول اغتصاب العرش من صاحبه الشرعى لا يمكن الصفح عنه » .

لم يكن هناك ثمة حاجة الى محاكمة الدوق فقد اعتبره الملك خائنا وقاتلا بل صدر أمر الملك باعدامه وحدد لذلك يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من يولية .

طلبت زوجة الدوق مقابلته ولم يكن ذلك بدافع العطف أو المحبة فقد هجرها من مدة طويلة ولكنها خشيت ان ينسب اليها فى اعترافه انها كانت على علم بمؤامراته ضد العرش فأرادت ان تقابله لتحصل منه على اعتراف بأنها لم تكن تعلم شيئا عن ذلك .

رفض الدوق فى أول الأمر أن يقابلها فى السجن ولكنها ذهبت مع اللورد كلارندون أحد أصفياء الملك جيمس وعندئذ قابلهما الدوق على أمل أن يرجو اللورد فى التوسط له لدى الملك للعفو عنه ولكن هذا الرجاء لم يجد اذنا صاغية لدى اللورد فقد قال له « ان العفو عنك أمر بعيد المنال فلا تفكر فيه » .

وهنا حادثته زوجته فيما جاءت من اجله فقالت : لقد حضرت لتقرر أمام اللورد اننى كنت على جهل تام بما تفعل » فوافقها على ذلك وأضاف « لقد كنت يا سيدتى مثالا للزوجة الوفية المخلصة » .

وفى المساء حضر الى السجن ثلاثة مطارنة وأعلنوا الدوق بالاستعداد لتنفيذ الحكم فى الصباح الباكر .. اكفهر وجهه وظل عاجزا عن الكلام ساعات ثم أخذ فى حركات هستيرية يكتب الالتماس تلو الالتماس الى الملك طالبا الصفح والمغفرة .

ولما كان الدوق قد أعلن امام الملك انه اعتنق المذهب الكاثوليكى فقد ارسل اليه قسيسا للقيام بالواجبات الدينية التى يفرضها هذا المذهب قبل وفاته ولكنه رفض الاستماع اليه اذ أن ارتداده عن مذهبه لم يكن فى الواقع الا وسيلة يريد بها الوصول الى الصفح عنه .

واذا كنا قد لمسنا فيما تقدم ما اعترى الدوق مونموث بعد القبض عليه من جبن وخوف فان الشجاعة التى اظهرها وقت تنفيذ حكم الاعدام فيه تدعو الى كثير من الاعجاب فقد سار الى ساحة الاعدام بقدم ثابتة مرفوع الرأس باسم الثغر وزال عنه جبنه وكف عن التوسل والبكاء ــ ويظهر انه عندما فقد كل أمل فى الحياة اراد أن يموت بطلا فزال عنه الرعب والارتياع .

كان ميدان البرج زاخرا بحشد كبير من الناس وكانت المدينة بأسرها قد استيقظت مبكرة وغصت الشوارع بالجماعات قبل شروق الشمس غير أن الصمت الرهيب كان سائدا فى جميع الطرقات وكانت النوافذ يطل منها الآلاف وكان يحرس الطرق والممرات جماعات صامتة من الجند .

وصل الدوق فى عربة السجن يحيط بها مجموعة كبيرة من الحراس اذ أن الملك جيمس كان يخشى أن تحدث محاولة من الثوار لانقاذه فى آخر لحظة .

صعد الدوق الى النطع وهو مثالا للرزانة وضبط النفس وارتفعت أصوات الجماهير بالبكاء اذ انه على ما يظهر كان محل عطفهم وهو على هذه الحال فكانت النساء يبعثن اليه بقبلاتهن على اطراف أصابعهن فكان المنظر يثير الكثير من الاشفاق والشجن .

التفت الدوق الى جلاده وخاطبه قائلا « قم بعملك جيدا » ثم صاح فى الناس بصوت جهورى « اننى أموت على المذهب البروتستانتى مذهب الكنيسة الانجليزية » ثم التفت مرة اخرى الى الجلاد جيمس كيث وعلى وجهه ابتسامة مريرة وأخذ من يده البلطة وتحسس حدها بدقة ثم قال له « هاك ستة جنيهات هى كل ما معى وهى لك على ان تميتنى بضربة واحدة قوية لا بعدة ضربات كما سبق لك ان فعلت وقت اعدام اللورد رسل وسوف يعطيك أنصارى مبلغا آخر اذا قمت بالعمل كما أريد .

وكان آخر تصرف فعله هو أن رفض ان يطرح الحراس على وجهه عباءة . ثم وضع رأسه على النطع انتظارا للضربة القاضية .

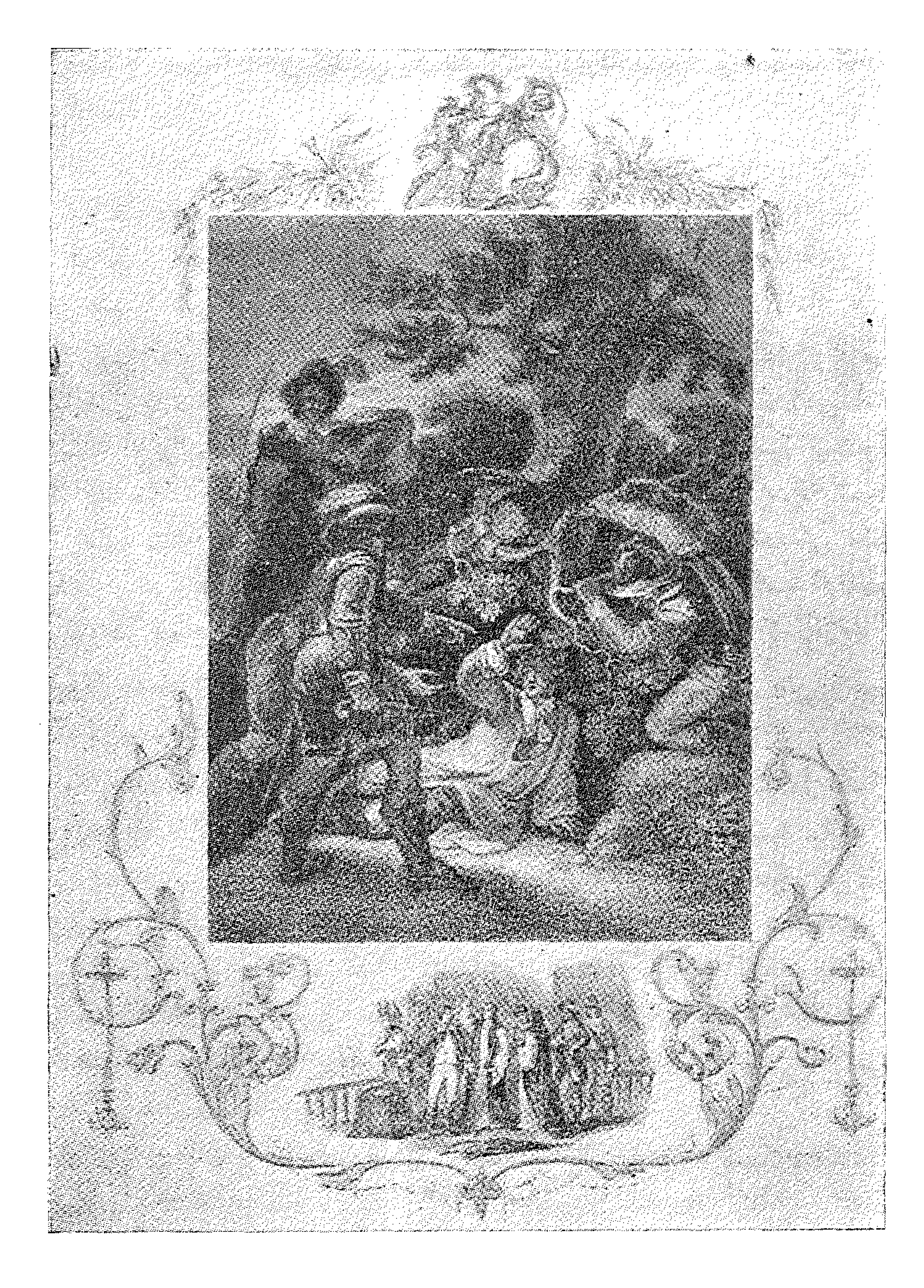
ولكن الجلاد لم يوفق الى تنفيذ ارادة الدوق فقد اضطربت يده وهوى بالبلطة الى عنقه بيد خائرة حتى ان الدوق رفع راسه ونظر الى الجلاد بحنق وغيظ فأعاد الكرة مرة وثانية وثالثة دون ان يتمكن من فصل الرأس عن الجسد .. وهاج الجمهور هياجا شديدا عندما شاهد هذا المنظر البشع .. وارتفع صراخ النسوة وعويلهن والقى الجلاد بالبلطة من يده قائلا « لا استطيع اتمام عملى » لولا ان قائد الحرس التقطها واعادها اليه مرة اخرى . وبعد أن هوى بها على عنق الدوق عدة مرات نجح فى فصل رقبته عن جسده .

تدفق الدم على درجات سلم المنصة واخذ النسوة يغمسن مناديلهن فيه .

ما من شك فى ان الطريقة الوحشية التى نفذ بها حكم الاعدام على الدوق مونموث هى وصمة عار فى جبين العدالة البريطانية . وقد جعلت شعور أهالى لندن المشاهدين لهذا التنفيذ البربرى يشفق عليه

ايما اشفاق ويعتبره ضحية من ضحايا الملك جيمس الثانى ويعيد اليه شهرته كبطل من ابطال النضال عن الحرية وعن الكنيسة البروتستانية.

وكان أشد الناس حزنا عليه هى « الليدى هنرييب ونت وورث » التى هجر زوجته من أجلها والتى أحبته حبا عنيفا وصادقا فلم تقو على مرارة فراقه فذوى غصنها النضير بعد شهور قلائل من اعدامه .



« اعدام الدوق مونموث »



١٣ ــ محاكمة الليدى اليس ليزل

أهم الشخصيات فى الدعوى :

● **الليدى اليس ليزل**	أرملة اللورد ليزل عضو المحكمة الانجليزية العليا وعضو مجلس اللوردات .
● **الملك جيمس الثانى**	ملك انجلترا .
● **القاضى جيفرز**	رئيس المحكمة .
● **بوب** ● **جيمس دن** ● **بارثر** ● **الكولونيل ينبروك** ● **دودنج**	شهود الاثبات ضد الليدى ليزل
● **جورج كريد**	شاهد نفى .

الزمن عام ١٦٨٥

فى أعقاب الثورة التى قام بها الدوق مونموث ضد عمـــه الملك جيمس ملك انجلترا وبعد الحكم عليه بالاعدام لجريمة الخيانة العظمي على النحو الذى فصلناه فى فصل سابق من هذا الكتاب اجتــاحت انجلترا موجه من الارهاب ضد أنصار الدوق الثائر فكانوا موضع مطـــاردة الحكومة فى كل مكان وقبض على الكثيرين لمجرد الشبهة فقط وكان ضمن من قبض عليهم الليدى اليس ليزل أرملة اللورد ليزل الذى كان عضوا فى المحكمة العليــا التى حاكمت الملك شـــارل الأول وقضت باعدامه ـ والتهمة التى وجهت اليها هى انها فى يوم ٢٨ من يولية سنة ١٦٨٥ فى السنة الأولى من حكم الملك جيمس الثانى ـ مع علمها بأن « جون هكس من اهالى سورست خائن ومتآمر ضد الملك اخفت المذكور بمنزلها بمدينة النجهام وقدمت له الطعام والشراب اضرارا بصالح الملك والدولة.

وما من شك فى أن محاكمة الليدى ليزل لهذه التهمة الباطلة والحكم باعدامها بعد محاكمة ظهر فيها التحيز الكبير من القاضى جيفرز بأجلى وضوح يعتبر من اكبر الأخطاء القضائية التى وقعت فى تاريخ المحـــاكم البريطانية ووصمة عار فى جبينها .

وقفت المتهمة فى قفص الاتهام وقد ارتسمت علي ملامحهــا آثار الكآبة والعناء غير ان محياها لم يفقد شيئا من جلاله فقد كانت رأســها لتقدمها فى السن متوجا بأكليل من الشعر الأبيض الناصع البياض كما أن منظـرها وهى تكاد تكون مقعدة وصــماء يثير الشجون ويدعو الى الشفقة .

ولم يكن لديها فرصة كبيرة للدفاع عن نفسها اذ كانت عاجزة عن تتبع اجراءات المحكمة المعقدة فاعتمدت على « وسيط » كان ينقل أسئلة المحكمة ثم اجابتها ولم يكن فى نقله للأسئلة او الاجابة امينا كل الأمانة .

عقدت المحكمة جلستها برئاسة القاضى جيفرز المعروف بشدة عداوته للمذهب البروتستانتى وتمسكه بالمذهب الكاثوليكى وازدحمت القــاعة بجمهور كبير من النظارة وسمح القاضى للمدعو مايثـو براون بأن يقف بجوار المتهمة ليشرح لها ما يدور من مناقشات .

وقد طلب رئيس الجلسة من عمدة المدينة ان يدقق فى اختيـــار المحلفين الذين عليهم أن يقرروا ما اذا كانت المتهمة مذنبة أم لا وبالرغم من اعتراض المتهمة على بعضهم الا ان القاضى ضرب بهــذا الاعتراض عرض الحائط فلم يأبه له .

سئلت المتهمة فأجابت بأنها « غير مذنبة » استدعت المحكمة الشاهد الأول المدعو بوب وبعد ادائه لليمين قال انه يعرف جون هيكس الذى آوته المتهمة فى منزلها مع انه كان من رجال الثائر مونموث وشرح ذلك قائلا بأنه اثناء اخذه أسيرا أثناء الحرب التى قامت بين جيش الملك وجيش الدوق مونموت اذ كان يحارب فى صفوف الملكيين وأودع مع آخرين فى السجن واثناء وجوده هناك حضر جون هيكس وكان يستعلم من الأسرى عن المعاملة التى يلقونها فى الأسر فشكوا اليه من أن الطعام قليل وانهم لا يمنحوا سوى كسرة من الخبز وقليل من الماء كل يومين فوعدهم بابلاغ ذلك الى الملك (ويقصد الدوق مونموث اذ كان الثوار ينعتونه بهذه الصفة) وقد تحدث جون هيكس الى الاسرى فقال ان الملك مونموث بروتستانتى وانه اى جون هيكس يتعجب كيف نحارب فى صف الملك جيمس الكاثوليكى ونأتمر بأوامره مخالفين بذلك المذهب البروتستانتى .

وشهد شاهدان آخران بمثل ما شهد به الشاهد السابق وبذلك ثبت لدى المحكمة ان جون هيكس الذى اتهمت الليدى ليزل بانها آوته فى منزلها انه من انصار الدوق مونموث وحارب تحت لوائه ضد حاكم البلاد الشرعى الملك جيمس الثانى .

ثم استدعى للشهادة بعد ذلك المدعو جيمس دن وبعد ادائه لليمين لفتت المحكمة نظره الى وجوب مراعاة الدقة التامة فى أقواله اذ انه الشاهد المهم فى القضية وحذرته بانه اذا حاول اخفاء الحقيقة عنها فسوف لا يأخذها به رحمة أو شفقة .

بدأ الشاهد شهادته فقال انه يقطن ناحية وورفر وفى يوم الجمعة حضر اليه شخص قصير القامة أسمر اللون وسأله أن يوصل رسالة شفوية من شخص يدعى جون هيكس الى الليدى ليزل ويسألها عما اذا كانت تقبل ايواء هيكس المذكور فى منزلها لمدة يوم أو يومين فقبل القيام بهذه المهمة فى نظير مبلغ من المال منحه له هذا الشخص وتوجه فى اليوم التالى — السبت — الى منزل الليدى ليزل الذى يبعد عن مسكنه بمسافة ستة وعشرون ميلا حيث قابل كبير الخدم المدعو كاربنتر الذى أوصله الى سيدته فابلغها الرسالة الشفوية الذى جاء من اجلها فاجابته بأن هيكس يستطيع الحضور فى مساء يوم الثلاثاء وقفل راجعا الى مسكنه وأخبر الرجل القصير بذلك .

المحكمة — الم تستفسر منك الليدى ليزل عما اذا كنت تعرف هيكس شخصيا .

الشاهد ــ لا أتذكر وانا لست متأكدا أن الليدى ليزل نفسها تعرف هيكس .

المحكمة ــ وهل من المعقول ان تقبــل الليدى ليزل ايواء شــخص بمنزلها لمجرد رسالة شفوية وهى لا تعرفه .

الشاهد ــ هذه هى الحقيقة يا فخامة القاضى ثم استرسل الشاهد فقال وفى صباح يوم الثلاثاء حوالى الساعة السابعة صباحا حضر الى منزلى ثلاثة أشخاص احدهم الشخص الذى كلفنى بابلاغ الرسالةالشفوية والآخران لا أعرفهما وكل ما اذكره ان احدهما كان طويل القامة والثانى نحيل الجسم وخرجنا جميعا حوالى الساعة الحادية عشرة وفى الطريق قابلنا شخص يدعى بارتر . اصطحبناه ليرشدنا عن منزل الليدى .

المحكمة ــ ولكنك قررت انك ذهبت أول مرة بنفسك الى منزلالليدى ليزل فكيف عرفت الطريق اليه وما الذى حدا بك الى اصطحاب «بارتر» هذا مادمت تعرف المنزل .

الشاهد ــ ان « بارتر » ذهب معى اول مرة وهو الذى أرشــدنى اليه ثم واعدته بأن ينتظرنى فى يوم الثلاثاء .

وردا على سؤال آخر من المحكمة عند مناقشته فى الكيفية التى توصل بها الى معرفة منزل الليدى اجاب الشاهد انه فى المرة الأولى سلك طريقا غير الذى سلكه فى المرة الثانية وقال ان الشخصين اللذين كانا معه فى المرة الثــانية هما هيكس وآخر يدعى نلثورب وأن هــذا الأخير منح « بارتر » خمسة شلنات وتركهم وهم على بعد ثمانية أميال من منزل الليدى .

المحكمة ــ متى وصلتم الى المنزل .

الشاهد ــ فيما بين الساعة التاسعة والعاشرة ليلا .

المحكمة ــ وما الذى تم بعد ذلك .

الشاهد ــ دخل هيكس ونلثورب الى المنزل بعد أن تركا جواديهما عند البوابة أما انا فقد أودعت جوادى فى الاسطبل .

المحكمة ــ ألم تشاهدهما بعد ذلك .

الشاهد ــ ابدا لم اشاهدهما الا بعد أن قبض البوليس عليهما .

المحكمة ــ هل كان باب الاسطبل الذى تركت جوادك فيه مغلقا أم مفتوحا .

الشاهد ــ كان موصدا بالمزلاج فقط وقد رفعت المزلاج واودعت الجواد فيه وحضر كارفيتر كبير خدم اللادى ليزل ووضع أمامه حفنة من الشعير .

المحكمة ــ الم تر أحدا فى ذلك الوقت غير كبير الخدم .

الشاهد ــ لا .

المحكمة ــ ألم تتعاط طعاما أو شرابا .

الشاهد ــ اكلت كسرة كعك وقطعة جبن كانتا معى .

وهنا سألت سلطة الاتهام الشاهد السؤال التالى :

الاتهام ــ عندما كلفت بحمل الرسالة الشفوية الى الليدى ليزل الم تكن تعلم ان الحكومة تبحث عن الثوار الذين اشتركوا ضد الملك فىمعركة سدجمور .

الشاهد ــ لا .

المحكمة ــ ألم يتطرق الى ذهنك اى شك أو ريبة عندما كلفت بحمل رسالة الى الليدى ليزل ؟ والم تسأل الشخص الذى كلفك عن شخصية هيكس الذى يريد الاختفاء فى منزلها . وعندما حضر هيكس ونلثورب الى منزلك الم تستفسر منهما عن شخصيتهما ؟.

الشاهد ــ لم يجب على هذا السؤال .

المحكمة ــ من الذى فتح باب الاسطبل . أنت أم كبير الخدم ؟ .

الشاهد ــ كبير الخدم يا سيدى .

المحكمة ــ ولكنك قررت الآن أيها النعس ان باب الاسطبل كان مفتوحا وموصدا بالمزلاج فقط وانك رفعت المزلاج بنفسك .

الشاهد ــ لم يحر جوابا .

المحكمة ــ ما انت الا شخص مراوغ تخلط فى شهادتك وتحاول جهدك اخفاء الحقيقة عن المحكمة بهذا الخلط !!

ثم التفت القاضى الى المتهمة وسألها عما اذا كانت ترغب فى توجيه اية أسئلة الى الشاهد ولكنها لم تسمعه لضعف سمعها فأعاد عليها السؤال « ماتيو براون » الذى كان يقف بجوارها فاجابت بالنفى .

وبهذا انتهت شهادة جيمس دن .

استدعى بارتر وهو الشخص الذى أرشد دن والشاهد السابق على منزل الليدى فأدلى بمعلوماته ــ وسنذكرها بالتفصيل فيما بعد ــ

وفى نهايتها اعاد القاضى سؤال دن بعد ان قال باستهزاء موجها الكلام اليه « ليتقدم الشاهد الأمين الصادق الى منصة الشهود » .

المحكمة ــ هل حملت رسالة مكتوبة أى خطابا من هيكس الى الليدى ليزل .

الشاهد ــ لا يا سيدى ــ كانت الرسالة شفوية .

المحكمة ــ ولكن « بارتر » الذى سئل الآن قال انه رآك تسلم كبير الخدم رسالة مكتوبة .

الشاهد ــ لا اتذكر عن هذا الأمر شيئا ياسيدى القاضى .

المحكمة ــ كيف يمكن استجلاء الحقيقة من وغد بروتستانتىمثلك؟ ألم تقم وزنا لليمين التى اديتها فى ساحة العدالة ؟ ألم تقسم أمام الله وهذا الجمع بأن تقول الحق كل الحق ولا شىء غير الحق .

الشاهد ــ لا اتذكر شيئا يا سيدى .

المحكمة ــ فى أى عهد تعيش .. أيها الثعبان الحقير هل هذه هى مبادىء المذهب البروتستانتى الذى تدين به ؟ أجب على سؤالى يا وغد !!

كان مارثر قد شهد أمام المحكمة بأنه أرشد ورافق فعلا دن الى منزل الليدى ليزل وهذا كما يتضح للقارىء يخالف ما شهد به دن من ان بارتر تركهم على بعد ثمانية أميال من منزلها كما شهد بأنه سمع الليدى ليزل تسأل دن هل يعلم بارتر شيئا عن العملية .

أرادت المحكمة ان تستوضح دن عما كانت تقصده الليدى من كلمة « العملية » فسأله .

المحكمة ــ ما الذى كانت تقصده الليدى ليزل من كلمة « العملية » .

الشاهد ــ لقد اجبت الليدى بأن بارتر لا يعلم شيئا عن سبب حضورنا الى منزلها .

المحكمة ــ هذه ليست الاجابة على السؤال الموجه اليك .

الشاهد ــ لقد سألتنى الليدى عما اذا كنت أعرف أن « هيكس » من أعداء « الاصلاح » فأجبتها بأنى لا أعلم .

المحكمة ــ هل تظن انه بعد هذا العناء الذى كابدته فى استجوابك ان هذا هو الرد على سؤالى .

الشاهد ــ انني مرتبك يا سيدى القاضى اشد الارتباك حتى لا أكاد اعلم بماذا أجيب .

اعيد استجواب الشاهد بارتر مرة أخرى فأجاب على سؤال وجه اليه من المحكمة ان دن اخبره انه قد اخفى هيكس فى منزله مدة عشرة أيام قبل ان يذهب به الى منزل الليدى وهنا صرخ فى وجهه دن وقال انك تكذب فلم أقل ذلك ابدا ».

بارتر ــ انا لا أعلم اذا كنت قد آويت هيكس بمنزلك أم لا ولكنك قررت لى ذلك بنفسك ولما اظهرت ذلك تعجبنى من انك قد استضفت بمنزلك هيكس هذه المدة الطويلة دون أن يعلم بذلك أحد اجبتنى بانه كان يختبىء بمنزلك نهارا ويغادره ليلا اذ أن الحكومة لم تكن تفتش المنازل الا ليلا .

المحكمة ــ الم تقل لبارتر انك ربحت مالا وفيرا من ايواء هيكس بمنزلك وأن هذه أكبر صفقة مالية قمت بها فى حياتك .

دن ــ لا ياسيدى لم أقل له ذلك .

المحكمة ــ ما قولك يا بارتر فيما يدعيه دن الآن أمامك .

بارتر ــ لا يا سيدى لقد قال لى ذلك فعلا وزاد عليه بأنه لن يحتاج الى مال بعد الآن .

وهنا طلب القاضى من سلطة الاتهام التحقيق مع الشاهد دن بعد الاطلاع على ما دون بمحضر الجلسة وتقديمه للمحكمة بتهمة شهادة الزور .

استدعت المحكمة ضابط البوليس الكولونيل بنبروك الذى قبض على هيكس بمنزل الليدى فشهد بأن بارتر حضر اليه وأبلغه انه أرشد دن الى منزل الليدى ليحصل منها على موافقتها على استضافة أشخاص لديها وانه اى بارتر يخشى أن يكون هؤلاء الأشخاص من الذين تطاردهم الحكومة وانه على موعد معه يوم الثلاثاء بين الساعة التاسعة ليلا ليرافقه الى هناك ــ فطلب منه الشاهد ان يذهب معهم وفى الموعد المحدد اصطحب معه بعض معاونيه وكمنوا بالقرب من منزل الليدى وعند حلول الظلام دخلوا الى المنزل فوجدوا هيكس ودن مختبئين « بمخزن البيرة » وقابل الليدى ليزل ولفت نظرها بانها قد خالفت القانون بأيوائها فى منزلها اشخاص من الثوار ضد الحكومة فأجابت بانها لا تعرف عن هذا الأمر شيئا .

المحكمة الى الشاهد دن ـ لماذا اختبأت بمخزن البيرة ؟.

الشاهد ـ لقد سمعت ضجيجا فى المنزل لم اتبين سببه ولذلك اختبأت .

كانت المتهمة طوال هذه الاجراءات تحاول جهدها ان تفهم ما يدور حولها دون جدوى وما أن انتهى الشاهد من الادلاء بمعلوماته حتى صرخت قائلة « ارجو الا تحكموا على قبل سماع أقوالى » .

هنا نظر اليها القاضى باستخفاف وسخرية وقال « لقد حكم زوجك اللورد ليزل على الملك شارل قبل سماع اقواله ولكن الأمر قد تغير الآن فان محاكم ملكنا الحالى جيمس حفظه الله ورعاه لا تحكم على متهم ابدا قبل سماع دفاعه عن نفسه .

ولو ان رئيس المحكمة قال لها « انه قد حكم عليك فعلا قبل سماع اقوالك بل وقبل البدء فى المحاكمة لكان قوله هذا اقرب الى الحقيقة !!

دعى بعد ذلك المستر دودنج أحد رجال الأمن الذين كانوا مع الكولونيل بنبروك حين تفتيش منزل الليدى ليزل لاداء الشهادة وما ان رأته الليدى حتى صاحت ان هذا الرجل قد فتح دولاب منزلى وقت التفتيش وسرق ما فيه من ثياب وملابس فهو لص وشخص هذه صفته لا يمكن ان تسمح المحكمة بأن يكون شاهد أثبات ضدى لأنه يهمه الحكم على حتى لا أتهمه بدورى بالسرقة .

حصل بعد ذلك مفاجأة غريبة فى قاعة الجلسة فقد تقدم دن وطلب من القاضى جيفرز ان يستمع اليه مرة اخرى فقد عزم على أن يدلى بالحقيقة دون مواربة أو خداع .

سمح له القاضى بذلك فقال « حقيقة الأمر ان هيكس طلب منى ان اتوجه الى الليدى ليزل واسالها عما اذا كانت تسمح باخفائه فى منزلها ولما ذهبت اليها سالته هل كان هيكس يحارب مع الثوار فأجابها بانه لا يعرف فسالته مرة أخرى وهل معه احد آخر فقلت لها أعتقد ذلك .

وعندما وصلنا فى مساء يوم الثلاثاء الى منز الليدى ترجلنا عن جيادنا ـ وكنا ثلاثة هيكس ونلتروب وانا ـ حضر خادم واخذ جوادى هيكس ونلتروب ودخلا الى المنزل وذهبت مع كبير الخدم بجوادى الى الاسطبل ثم قادنى الى غرفة الليدى فدخلت حيث وجدت هيكس ونلتروب معها وسمعتها ترحب بهما ـ ثم احضر كبير الخدم أو احدى الخادمات على ما اتذكر عشاء حيث تناولناه جميعا .

وجهت اليه المحكمة السؤالي التالي :

المحكمة ــ هل سمعت اللادى ليزل تتحدث الى هيكس وزميله عن موقعة سدجمور « هى الموقعة التى اندحرت فيها جيوش الثوار بقيادة الدوق مونموث » .

دن ــ سمعتهم جميعا يتحدثون عن الحرب والقتال ولكن لا اذكر تماما ما قيل فى هذا الشأن .

المحكمة ــ لماذا لم تقرر ذلك من مبدأ الأمر وما الذى جعلك تراوغ المحكمة فى اجاباتك .

ثم نظر الى الشاهد بازدراء « هل هذه هى تعليمات مذهبك البروتستانتى ؟

الى هنا انتهت المحكمة من سماع جميع الشهود وسمحت للمتهمة بالكلام فقالت :

« اننى لا علم لى مطلقا يا سيدى القاضى بأن هيكس مطلوب القبض عليه او أن الحكومة تطارده . كما اننى أجهل تمام الجهل بأنه كان منضما لجيش الثوار ضد الملك وكل معلوماتى عنه اننى سمعت أنه من الذين يدينون بالمذهب البروتستانتى ويروج له علانية .

أما عن الشخص المسمى نلتروب الذى حضر معه فاننا لم اشاهده فى حياتى الا يوم حضوره الى منزلى .

اننى يا سيدى القاضى أمقت كل المقت مبادىء الثورة وكيف لا أمقتها وقد قامت ضد الملك جيمس الذى له على أياد لا تنسى فانا مدينة له حقا بلقبى الذى احمله وبضيعتى التى امتلكها .

لو كنت حوكمت فى لندن لأمكننى بسهولة ان اشهد الكثيرين على برائتى فان سيدتى الليدى أيرجانتى وغيرها من السيدات النبيلات على أتم استعداد للشهادة باننى كنت دائما ضد هؤلاء الذين قاموا بالثورة ضد الملك جيمس .

ولقد كنت فى لندن أثناء نشوب هذه الثورة البغيضة وظللت بها طول الوقت الى ان قبض على الدوق مونموث وأعدم لقد قيل لى يا سيدى القاضى بأنه لا يمكن محاكمتى على التهة المنسوبة الى وهى ــ ايواء الثائر هيكس بمنزلى ــ الا بعد محاكمة هذا الأخير واقسم اننى لم أعلم بحضور نلتروب معه الا عندما فوجئت به مع هيكس بمنزلى وكنت أجهل شخصيته ولو علمت هذه الشخصية لأبلغت عنه لانى كنت أعلم ان الحكومة قد أصدرت أمرا بالقبض عليه .

أما ما قال به الشهود من أننى انكرت وجوده بمنزلى فقد كنت وقتذاك فى حالة اضطراب اذ دخل رجال الحكومة الى منزلى عنوة وعلى حين فجأة وعاملونى معاملة قاسية لا نظير لها ولا تتفق مع سنى ومركزى .

انى اتوسل الى المحكمة الا تشك فى أمرى لما قيل عنى باننى كنت راضية تمام الرضا الى اعدام الملك شارل الأول .. لقد لازمت غرفتى يوم تنفيذ الحكم باعدامه ولا أظن ان امرأة فى الوجود قد ذرفت الدمع عليه مثل ما فعلت وتشهد بذلك الليدى مالبرو « واللورد هايد »وآخرون وأؤكد لعدالة المحكمة مرة أخرى اننى لا أعرف نلتروب .

لقد استضفت هيكس حقا فى منزلى لا بوصفه أحد الثوار ولكن بوصفه واعظا من وعاظ المذهب البروتستانتى ولا اعتقد أن ذلك الذى فعلته جريمة يعاقب عليها القانون .

وانا اكرر القول باننى كنت اجهل تماما ان هيكس مطلوب القبض عليه لأنه من الثوار ومن أعداء الاصلاح — كما اننى لم أكن من البلاهة بمكان حتى اخفى نلتروب فى منزلى وانا أعلم ان الحكومة تطارده وبذلك اهدم بيتى واكون سببا فى تعاسة أولادى .

وكان شاهد النفى الوحيد الذى شهد لمصلحة الليدى ليزل هو « جورج كريد » فقد شهد بأن نلتروب أقر أمامه بأن الليدى لا تعرفه ولا تعرف شيئا عن حضوره الى منزلها وحتى لم تكن تعرف أسمه الى ان قبض عليه الكولونيل نيروك وقد علقت المحكمة على شهادة هذا الشاهد بأن التهمة الموجهة الى المتهمة هى اخفائها لهيكس ولا شأن لنلتروب فى هذه القضية ومن ثم فان شهادته غير ذات موضوع .

اضافت المتهمة بعد ذلك فقالت « ياسيدى القاضى . اننى أكن كل ولاء للملك وعلى استعداد للتضحية فى سبيل اسعاده بكل شىء فانا مدينة لجلالته بكل ما أملك فى هذه الدنيا ولو استطعت ان أحارب فى صفوف جيوشه لفعلت ولكنى امرأة لا حول لها ولا قوة . وقد حارب أبنى فى جيش الملك وكان جنديا من جنوده فى الحرب ضد الثوار وطالما نصحت له بالولاء لمولاه والاخلاص للتاج فانا التى انشأته هذه النشأة وعلمته الا يحمل السيف الا من أجل مليكه ومليكه فقط .

والى هنا انتهى دفاع المتهمة .

التفت القاضى جيفرز الى المحلفين بعد أن انتهت المتهمة من دفاعها وقال : لا يغيبن عن بالكم ان المتهمة كانت زوجة اللورد ليزل الذى حاكم

الملك شارل الأول وقضى باعدامه وان الأدلة القائمة ضدها فى الدعوى واضحة تمام الوضوح ولا تحتاج الى شرح . واننى اترك تقدير كل ذلك لضمائركم الحية وانبهكم الى أن حياة الملك الحالى وطمأنينة حكومته وسلامة الدين فى خطر كبير من امثال هذه المتهمة وانا أطالبكم عندما تخلوا بانفسكم للمداولة الا تدخلوا فى حسبانكم ان المتهمة سيدة كبيرة السن .

سأل كبير المحلفين القاضى السؤال التالى « هل محاكمة الليدى ليزل الآن قبل محاكمة هيكس الذى قيل بانها اخفته فى منزلها والحكم بادانته جائزة فى حكم القانون » .

أجاب القاضى وقد كشر عن انيابه « لنفرض ان هيكس هذا قد مات لأى سبب من الأسباب هل لا تحاكم المتهمة .

اختلى المحلفون مدة نصف ساعة فقط وعادوا الى قاعة الجلسة واعلن رئيسهم القرار التالى :

« يشك المحلفون ، بعض الشك » فى ان المتهمة كانت تعلم ان هيكس عند ايوائها له بمنزلها انه من أفراد جيش الثوار ضد الملك .

ومعنى هذا القرار انها غير مذنبة ..

ولكن هذا القاضى المتعصب وقد رأى ان زمام الحكم على المتهمة بالادانة كاد يفلت من يديه خطب فى المحلفين فقال :

« لقد اتضح من شهادة الشاهد دن ان المتهمة سألته عما اذا كان هيكس من أفراد جيش الثوار فأجابها بأن لا يعلم ومع ذلك قبلت دخوله الى منزلها مرحبة به . ومن جهة أخرى لقد ثبت من شهادة دن انه سمع هيكس ونلتروب يتحدثان أما مالمتهمة أثناء العشاء عن الثورة وقائدها الدوق مونموث .. لا ياسادة . لا يساوركم أى شك من ثبوت التهمة ضد المتهمة فالأدلة ضدها واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار .

اختلى المحلفون مرة اخرى وعادوا حيث اعلن رئيسهم بأن المتهمة مذنبة .

حينئذ تنفس القاضى جيفرز الصعداء .. واصدر قراره باقفال باب المناقشة فى الدعوى والنطق بالحكم فى يوم ٢٨ من اغسطس سنة ١٦٨٥ . وفى اليوم المذكور جيء بالمتهمة من السجن الى المحكمة فى عربة واحدة مع لفيف من الصوص وقطاع الطرق .

وعقدت الجلسة فى الصباح المبكر وقبل أن ينطلق القاضى بالحكم وجه الى الليدى ليزل هذه الكلمات « لقد ظهرت أدلة جديدة اخرى ضدك بعد انتهاء المحاكمة وانى أنصحك بأن تعترفى بجريمتك الآن ففى ذلك تكفير عن ذنبك الشنيع » .

ولكن المتهمة نظرت اليه فى هدوء ولم تفه بكلمة وعندئذ نطق القاضى بالحكم وهو يقضى باعدام الليدى ليزل حرقا بالنار وحدد للتنفيذ ظهر يوم النطق به .. وأعقب ذلك بقوله على ان المتهمة اذا أقرت بذنبهـــا فسوف تأمر المحكمة بتأخير التنفيذ الى يوم آخر .

وما كادت الجماهير تعلم بالحكم الصادر ضد الليدى حتى عمها موجة كبيرة من السخط والغضب بل لقد هز هذا الحكم مشاعر بعض رجال الدين فتدخلوا بمالهم من نفوذ لدى المسئولين لايقاف تنفيذه فترة من الوقت علهم يستطيعون تخفيفه ونجحوا فى تدخلهم هذا فأجل التنفيذ الى يوم ٢ من سبتمبر سنة ١٦٨٥ ثم تقدموا بعد ذلك التماسا للملك لتخفيف الحكم ـ فأمر الملك باعدامها بدلا من احراقها بالنار !!

وكانت هذه المأساة او المهزلة القضائية محل نقد وتعليق الكثيرين فمما لا شك فيه ان براءة الليدى ليزل مما نسب اليها واضحة تماما كما أن تحيز القاضى جيفرز ضدها فى كل اجراءات المحاكمة كان ظاهرا بأجلى بيان فقد دفع بالمحلفين دفعا الى ان يقرروا بأن المتهمة مذنبة ورغما من ان الليدى ليزل لم يكن لها محام يتولى أمر الدفاع عنها وانه لم يثبت للمحكمة انها كانت على علم بمؤامرات هيكسى التى آوته فى منزلها وانه من المشتركين فى الثورة وان شهادة «دن» شاهد الاثبات الأساسى فى القضية كانت شهادة مفككة . وادلى فيها كما شاء وشاء له هواه لم يمنع كل ذلك القاضى جيفرز المتعصب من أن يحكم بادانتها حكما يتنافى مع العدالة ولم تأخذه رحمة ولا شفقة بهذه السيدة المتقدمة فى السن الكريمة المنبت والتى حارب ابنها ولا يزال يحارب فى صفوف جيش الملك الى يوم صدور الحكم ضدها ــ ولو كان قاضيها غير جيفرز المتعصب للمذهب الكاثوليكى لتغير وجه الرأى فى هذه القضية .

وما من شك فى انها لم تتح لها الفرصة لمحاكمة عادلة فقد عجزت لضعف سمعها عن تتبع اجراءات المحاكمة المعقدة ولم يكن فى مقدروها مناقشة شهود الاثبات فقد كانت وحدها دون مدافع عنها يقف بجوارها ليشد من ازرها ويأخذ بناصرها فى موقفها العصيب الذى لا تحســـد عليه .

وليس أدل على صحة ما نقوله اذا علمنا ان الحكم الذى صــــدر باعدام الليدى ليزل قد الغاه البرلمان الانجليزى بعد انقضاء ثورة عام ١٦٨٨ .

دقت ساعة التنفيذ فكان منظر الليدى ليزل وهى تصعد الى النطع يدعو الى الرثاء والشفقة كما كان ثباتها مما يدعو أيضا الى الاعجاب فقد كانت آية من آيات الشجاعة والبسالة .

غير ان كل هذا لم يبدل فى حكم القدر .

وسيظل هذا الحكم كما قدمنا وصمة عار فى جبين العدالة الانجليزية الى أبد الآبدين .





١٤ ـ جاك كنش
الجـــلاد الانجليزى

تولى جاك كتش مهام منصبه حوالى عام ١٦٧٨ خلفا لسلفه ادوارد دن وقد عرف بقسوة القلب الى حد كبير وبالوحشية فى طريقتـــه فى اعدام ضحاياه ولاتزال ذكرى اعدامه بطريقة بربرية للورد رســـل عام ١٦٨٣ وللدوق مونموث عام ١٦٨٥ عالقة فى الاذهان .

وكان يطلق اسمه على كل شخص تولى هذه المهمة من بعده ..

ولعـل الكثـيرين من الناس يعتقدون ان « الجلاد » بحكم مهنتـه القاسية يجب أن يكون بعيدا عن مواطن الظنون والشبهات وأن يكـون ايضا اكثر الناس ميلا الى احترام القانون وعدم مخالفة احكامه ونصوصه ذلك لأن له من المآسى التى تمر عليه فى عمله المتواصل عظة وعبرة وحتى لا يكون مصيره فى يوم من الأيام مصير هؤلاء الذين أطاح برءوسهمولكن هذا الاعتقاد فى غير محله ..

والى القارىء فيما يلى قضية اعتداء وحشى ارتكبها الجـلاد جاك كتش فى أوائل القرن الثامن عشر .

كان اســـمه الحقيقى « جون برايس » وعين جلادا فى عام ١٧١٨ وأطلق عليه اسم جاك كيتش كالعادة المتبعة .

ولد فى ضاحية مارتن بلندن وكان ابوه ضابطا فى البحريةالانجليزية وقتل فى موقعة تانجر تاركا ارملته وأولاده منها فى حالة فقر مدقعوكان اكبرهم هو جون برايس هذا .

أرادت الأرملة ان ينشأ ولدها نشأ طيبة ولكن حال فقرها دون ذلك فلم تستطيع الحاقه بالمدارس واضطرت تحت ضغط الحـاجة الى ان تلحقه لعمل عند احد تجار الأقمشة ولكنه لم يمكث طويلا اذ توفىالتاجر فجأة .. عمل جون برايس بعد ذلك حمالا فى الموانى ثم بحـــارا فى السفن مدة ثمانية عشر عاما طوالا الى ان فصل من عمله وظل مدة طويلة بلا عملالى أن خلت وظيفة الجلاد بوفاة شاغلها وعدم وجودعقب له من بعده يحل محله فيها فتقدم بطلب التعيين فيها وكان له ما أراد وسمى كما كان يسمى سلفه باسم جون كيتش فعرف به طول حياته .

وفى يوم من الأيام أثناء عودته من عمله بعد أن نفذ حكم الاعدام فى ثلاثة اشخاص قبض عليه البوليس لعدم تسديده دينا كان عليه لأحـد الناس وأودع السجن اذ كان القانون الانجليزى يقضى بسجن المـدين

الذى يعجز عن سداد دينه حتى الوفاء به ولكنه لم يمكث بالسجن طويلا اذ بمجرد ان قبض من الحكومة اجره عن اعدام هؤلاء الثلاثة وتمكن من بيع ملابسهم التى كانت عليهم وقت التنفيذ (١) فقد دفع الدين وافرج عنه .

قبض عليه مرة أخرى لدين ثان وظل بالسجن مدة طويلة وهو لا يستطيع الوفاء بهذا الدين الى ان كثر عدد المجرمين المحكوم عليهم بالاعدام فلم تجد الحكومة مناصا من فصله من وظيفته وعين آخر يدعى وليم مارفل مكانه .

استطاع « برايس » ان يهرب من السجن وظل مختفيا عن الأنظار الى ان قبض عليه فى ٢٤ ابريل ١٧١٨ بتهمة قتله عمدا اليزابيث وايت

ووقائع هذه الدعوى كما يبين من مرافعة ممثل الاتهام فيها تتلخص فى ان المتهم « جون برايس » قابل المجنى عليها اليزابيث وايت فى الطريق العام ليلا فى الساعة العاشرة مساء .. وكان الشارع يكاديكون مقفرا فحاول الاعتداء على عفافها واغتصابها بالقوة ولكنها قاومته مقاومة شديدة . وفى شجاعة عظيمة واخذت تكيل له اللطمات حتى خرج عن صوابه فاستجمع قواه وانهال عليها ضربا حتى انبثق الدم من فمها وعينيها بل بلغت به الوحشية ان اقتلع احدى عينيها من محجرها وكان صراخ المسكينة يدوى فى سكون الليل فهرع بعض الناس الى نجدتها وتمكنوا من القبض على المتهم وهو فى مكان الحادث وابلغ الأمر الى البوليس فتولى التحقيق .

كانت المجنى عليها عقب هذا الاعتداء قد فقدت النطق تماما ولم تستطع الاجابة على اسئلة المحقق لها الا بالاشارة ولكنها عبرت بها ابلغ تعبير فوصفت اعتداء المتهم عليها وصفا دقيقا . قدم برايس الى المحكمة العليا فانكر التهمة وقال ان الناس قد اتهموه ظلما فقد كان يسير « بناحية مورفيلد » — مكان ارتكاب الحادث — وعثرت قدمه اثناء سيره بشىء ملقى على الأرض ولما انحنى ليتبين ماهية هذا الشىء وجد انه جسم امراة تئن انينا خافتا فحاول رفعها عن الأرض وفى هذه اللحظة حضر لفيف من الناس واتهموه بانه هو المعتدى عليها .

ولم تلتفت المحكمة الى انكاره ولا الى دفاعه الواهى فلم يكن بين المجنى عليها وبينه ما يدعوها الى اتهامه بالباطل واحاطت الأدلة بالمتهم من كل جانب فلم يجد المحلفون بدا من التقرير بأنه « مذنب » .

---

(١) كانت ثياب المحكوم عليهم بالاعدام تصبح ملكا للجلاد بعد تنفيذ الحكم

وصدر الحكم باعدامه وظل برايس اثناء وجوده بالسجن في انتظار التنفيذ مصرا على الانكار ولم يعترف بجريمته الا يوم التنفيذ في ٣١ من مايو ١٧١٨ حيث اعترف اعترافا كاملا .

كانت جريمة برايس هذه من اشنع الجرائم التي وقعت خلال القرن الثامن عشر ولعل القارىء يهمه الوقوف على طريقة تنفيذ الاعدام وقتذاك .

كان « ميدان تايبرن » هو المكان الرئيسي المخصص لتنفيذ احكام الاعدام بمدينة لندن وموقعه الآن الشارع المعروف بشارع اكسفورد . وبعد عام ١٧٨٣ نقل مكان التنفيذ الى نيوجيت .

وكانت المشنقة عبارة عن قائمتين من الخشب يتوسطها حبل سميك اما قبل ذلك وفي عام ١٥٧١ اثناء حكم الملكة اليزابيث فقد اخترعت آلة كانت تسمى « آلة الشنق » مقسمة الى مثلثات متساوية الاضلاع يتسع كل ضلع من هذه المثلثات لشنق ثمانية اشخاص اى ان المثلث الواحد كان يتسع لأربعة وعشرين شخصا دفعة واحدة . فلم يكن من المستغرب اذن ان يكون منظرها يثير الرعب في أقسى الناس قلوبا .

وفي هذا العهد كان على الجلاد ان يبقر بطن المحكوم عليه بعد شنقه ويستخرج منها الأمعاء . ومما رواه المؤرخون ان الدكتور جون ستورى نفذ فيه حكم الاعدام بواسطة هذه الآلة الجهنمية في أول يونية ١٥٧١ .. ولم يكن قد فارق الحياة بعد وكانت قدماه تتارجحان وجسمه مدلى .. وهم الجلاد ببقر بطنه واستخراج الأمعاء منها واذا بالمشنوق وقد شعر بحد السلاح فوق جسمه بركل الجلاد بقدمه ركلة قوية القته مغشيا عليه .

وبلغ عدد من أعدموا بهذه الطريقة الوحشية على هذه الآلة اكثر من ثلاثة آلاف شخص معظمهم من القسس ورجال الدين .

كان يوم التنفيذ في « تايبرن » يعتبر من ايام الاعياد وكان يطلق على هذا اليوم « عيد تايبرن » حيث يهرع كل سكان لندن تقريبا اليه اذ يستيقظون من نومهم في الصباح المبكر مرتدين افخر ثيابهم وكأنهم في الطريق الى مشاهدة مشهد تمثيلي طريف وكان يلذ لهم كثيرا أن يسمعوا أنين المحكوم عليهم ... وكان البعض يدفع اجرا عاليا لاحتلال احدى شرفات المنازل المطلة على ميدان التنفيذ .

تصل عربة السجن بعد بزوغ الشمس بقليل مكدسة بالمحكوم عليهم الى الميدان حيث يكون الجلاد في انتظارهم ويوضع حول رقبة كل منهم

حبلا طويلا يتسلمه مساعد الجلاد اليه فيسوقه الى المنصة حيث يأخذفي احكام الحبل حول العنق ويرفعه الى المشنقة ويجذبه جذبا قويا فيطبق على عنقه وتفارقه الحياة .. وهكذا ينفذ الحكم فى الواحد بعد الآخر وتظل الجثث معلقة على المشنقة فى الهواء بين تصفيق الجماهير وبعد التنفيذ يطلق الضابط المشرف على هذه العملية عددا من الحمام الزاجل تحمل رسالة الى المسئولين بأن التنفيذ قد تم . اما ملابس المحكوم عليهم التى كانوا يرتدونها وقت التنفيذ وكل ما فيها تصبح من حق الجلاد .. يأخذها لنفسه ويتصرف فيها كما يشاء ».

وفى جرائم الخيانة العظمى ــ كان المجرم يسحب فى حبل طويل فى الطريق من السجن الى ساحة الاعدام . وكانت جثته تقطع الى أربعة أجزاء متساوية بعد فصل العنق منها ويعلق كل جزء من هذه الأجزاء فى ناحية من نواحى لندن ».

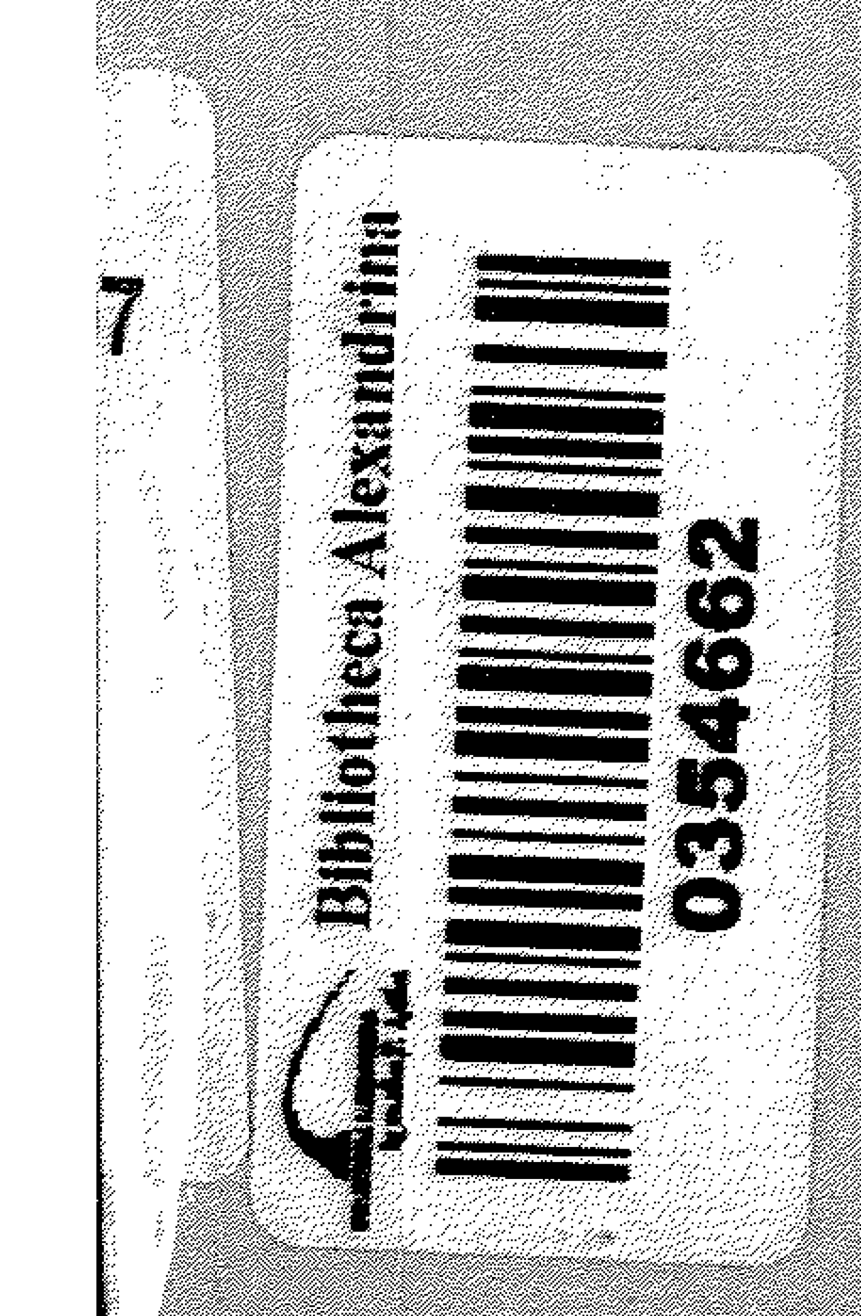
ولكن طريقة تقطيع الأوصال هذه لم يستمر العمل بها طويلا فعدل عنها وكانت الجثث يبعث بها الى المستشفيات لدراسة التشريح .

ومن طريف ما وقع فى هذا الصدد ان محكوما عليه بالاعدام ويدعى دويل نفذ الحكم فيه شنقا وارسلت جثته الى احد المستشفيات للتشريح ولم يكن المحكوم عليه قد فارقته الحياة تماما فلم يكد الطبيب يبدأ فى غسل الجثة قبل اجراء التشريح اذا بها تتحرك ويعود المحكوم عليه الى صوابه وينتصب واقفا على قدميه ويسرع بالفرار من باب المستشفى وقد حاول الأطباء اللحاق به ولكن الجمهور لم يمكنهم من ذلك .. وأسرع الجلاد الى القبض عليه لينفذ فيه حكم القانون مرة أخرى ولكن الجموع المحتشدة فى الساحة هاجمته وأرغمته على ترك فريسته وأسرع المحكوم عليه يعدو عاريا فى الطريق وقد نجا من الموت بأعجوبة .

ولعل ابلغ ما كتب فى وصف تنفيذ حكم الاعدام فى ذلك الوقت هو ما كتبه الكاتب الانجليزى المعروف صمويل تشاردسون فى كتابه « خطابات دارجة » فقال « امتطيت صهوة جوادى وسرت بصحبة قافلة المحكوم عليهم بالاعدام من سجن نيوجيت الى الساحة . وكان عددهم خمسة حشروا فى عربة ضيقة يجرها جواد هزيل . ولاحظت ان ثلاثة منهم لم يظهر عليهم اى اهتمام بما يدور حولهم » واثنان فقط ظهر على وجهيهما اليأس والرعب القاتل .. وليس هذا بمستغرب فقد أحس كل منهما بأن حياته قد قاربت النهاية وما هى الا لحظات ويتدلى جسمه من اعلى آلة الاعدام البغيضة .

الفهرس

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
بالقاهرة


Bibliotheca Alexandrina
0354662